وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة ابن خلدون – تيارت.
ملحقة قصر الشلالة.

ميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر بعنـــوان:

المقاومات الشعبية في المغرب الأقصى وانعكاساتها على المنطقة بعد فرض الحماية المزدوجة(1912–1930)م

إشراف:
الدكتور عبدالقادر ولد أحمد.

– إعداد الطالبة:
ربيحة ربوح .

السنة الجامعية: 1442–1443هـ/2021–2022م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة ابن خلدون – تيارت.

ملحقة قصر الشلالة.

ميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر بعنـــوان:

المقاومات الشعبية في المغرب الأقصى وانعكاساتها على المنطقة بعد فرض الحماية المزدوجة(1912–1930)م

– إعداد الطالبة:

ربيحة ربوح

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاسم و اللقـــب	الدرجة العلميـة	الصفـــة
– عبدالقادر قندوز	أستـاذ محاضـر أ	رئيسـا
– عبد القادر ولد أحمد	أستـاذ محاضـر أ	مشرفا ومقررا
– بلقاسم بواشرية	أستـاذ محاضر أ	عضـوا مناقشـا
– أحمد سلطاني	أستاذ مساعد أ	عضـوا مناقشـا

السنة الجامعية: 1442–1443هـ/2021–2022م

الإهـــــــــــــــــــــــــــــــداء

اهدي ثمرة عملي وتعبي إلى كل من

والدتي و والدي... حفظهما الله.

و إلى زوجي ...و أبنائي(خالد محمد زياد و إسحاق سراج الدين

و اشرف عبدالوهاب براء، والمدللة رهف نور اليقين).

و إلى أخوتي وأخواتي وعائلتهم

و إلى عائلة زوجي وبالأخص الوالدين الكريمين... حفظهما الله.

و إلى الزملاء والرفاق... أتمنى للجميع مزيدا من النجاح والتفوق.

ريحة

شكـــــــــــر وعرفـــــــــان

قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:

((من لم يشكر الناس لم يشكر الله))

وعليه لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وتقديري

للأستاذ المشرف: الدكتور عبدالقادر ولد أحمد الذي

لم يبخل عليا بنصائحه وتوجيهاته

حتى إتمام هذا العمل.

مقدمة

شهد المغرب الأقصى خلال القرن19م تنافسا استعماريا من مختلف القوى الاستعمارية الأوروبية الكبرى، وخاصة بعد ظهور نظام الحماية القنصلية الذي أدى إلى تصاعد النفوذ الأجنبي في المغرب الأقصى، وخاصة من طرف القوة الاستعمارية الفرنسية التي كانت اهدافها واضحة خاصة بعد احتلال الجزائر في عام1830م واعتبار المغرب الاقصى امتدادا طبيعيا لها، واحتلاله والسيطرة عليه ضرورة استعمارية حتمية لا يمكن التخلي عنها، بعد فرض الحماية على تونس عام1881م، ثم السيطرة المباشرة على موريتانيا خلال سنوات عام1909م-1920م. وكان لفرنسا ما أرادت حينما وقع السلطان المغربي عبدالحفيظ في30مارس1912م على معاهدة الحماية الفرنسية.

وفي نفس السنة أيضا وقعت فرنسا معاهدة ثانية ثنائية في27نوفمبر1912م مع إسبانيا لتحديد مناطق النفوذ مع إسبانيا، والتي تضمنت اعتراف فرنسا بحق إسبانيا في احتلال الريف المغربي في الناحية الشمالية ومنطقة "ايفنى" على المحيط الأطلسي، و اعتبار "طنجة" منطقة دولية، ومنها انطلق الاستعمار المزدوج الإسباني والفرنسي مستخدمين أحدث الوسائل العسكرية للتوسع داخل الترابي المغربي، وجندوا أبناء المستعمرات إضافة إلى الاعتماد على القواد الكبار المرتبطين بالاستعمار للتوغل في البلاد؛ وهنا نطرح الاشكال التالي؛ هل الشعب المغربي رضي بالتواجد الاستعماري في بلاده مثلما رضت الدولة الشريفة وقبولها لأمر الواقع والخضوع للاستعمار الفرنسي باستسلام السلطان عبدالحفيظ. وهل تقبل الشعب المغربي الاستعمار الإسباني هو الأخر، أم كانت هناك مقاومات شعبية رافضة للاستعمار ؟ في حقيقة الأمر؛ الشعب المغربي لم يرض بالاستعمار الفرنسي، ولا الاستعمار الإسباني، وسجل لنا التاريخ المغربي بطولات العديد من الشخصيات الوطنية الثائرة ضد المستعمر، والعديد من الثورات والمقاومات الشعبية في مختلف أقطار البلاد في الجنوب المغربي، وفي الأطلس الكبير والمتوسط، وفي الريف المغربي؛ ومن هنا نطرح التساؤلات الجزئية التالية:

ماهي أهم المقاومات الشعبية في المغرب الأقصى بعد فرض الحماية، والتوقيع على الاتفاقية الثنائية بين فرنسا وإسبانيا من أجل تحديد مناطق النفوذ؟ وماهي انعكاساتها على المجتمع المغربي؟

ما هي الظروف المؤدية لفرض الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى؟

وفيما تمثلت الثورات الشعبية تجاه الاستعمار الفرنسي في المغرب الأقصى؟، والثورات المسلحة في مناطق الاستعمار الإسباني؟. وهل حققت هذه الثورات ما كانت تهدف إليه من حرية واستقلال؟.

وتكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره في أن هذه المرحلة المدروسة مرحلة حافلة بالأحداث متمثلة في انتفاضات ومقاومات شعبية والتي تحتاج مزيداً من الدراسات والأبحاث بوثائق جديدة؛ ويعود أسباب اختياري لهذا

الموضوع إلى رغبتي في دراسة جزء من تاريخ هذا البلد كونه من البلدان التي تعرضت للاستعمار المزدوج الفرنسي والاسباني. وكذا الميل الشخصي لدراسة تاريخ دول المغرب العربي المعاصر ومن بينها المغرب الأقصى. والحقيقة أن هذا الموضوع ليس بجديد في الدراسة لأنه سبقني باحثين آخرين في التطرق إلى هذا الموضوع ومن بين تلك الدراسات:

- مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، المقاومة المغربية المسلحة ضد الحماية المزدوجة الفرنسية-الإسبانية1907-1934م، لطالبتين حاج جيلاني سكينة، وخرطمان يمينة من جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، شعبة التاريخ، خلال الموسم الجامعي2017-2018م، والتي تناولتا فيها الظروف التي هيأت الطريق لوقوع المغرب في الحماية المزدوجة، و ردود الفعل الشعبية تجاه التدخل الفرنسي العسكري في كل من وجدة والشاوية وفاس، ثم تناولتا الشخصيات المغربية التي قادت الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي في منطقة الجنوب وجبال الأطلس، ثم أهم قادة الكفاح المسلح في الشمال المغربي ضد الاحتلال الإسباني. ودراستي هذه اختلفت عنها في الإطار الزماني فقد بدأت دراستي تاريخ بداية التوقيع على معاهدة الحماية عام1912م، إلى غاية القضاء على مقاومة الريف المغربي، والتي اعتبرت آخر مقاومة من الكفاح المسلح لتدخل المقاومة في شكل مغاير تمثل في المقاومة السياسية ممثلة في أحزاب وجمعيات... وغيرها.

وهذا بالإضافة إلى مذكرات عديدة تناولت العديد من البحوث؛ بحثت في مجال التنافس الأوربي حول المغرب الأقصى على ضوء المؤتمرات الدولية(1884-1912)م. وبحوث تناولت موضوع محمد بن عبدالكريم الخطابي وموقفه من الحماية المزدوجة(1912-1926)م، ومذكرة درست منطقة الريف ودورها في الحركة الوطنية بالمغرب الأقصى(1912-1953)م، واخرى تناولت موضوع حرب الريف من خلال جريدتي النجاح والمنتقد(1921-1926)م.

وهناك دراسة قيمة استفدت منها كثيراً في مذكرتي والمتمثلة في رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر بكلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ في جامعة أبو القاسم سعد الله- جامعة الجزائر02- للباحث الدكتور محمد حواس، والتي حملت عنوان: الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية مقاربة في المضامين1930-1951م، في مدخلها والمعنون بـ" بين المقاومة الرسمية والمقاومة العسكرية: روافد الحركة الوطنية المغربية1907-1930م.

والمنهج المتبع لدراسة هذا الموضوع دراسة علمية يقتضي بنا توظيف المنهج الوصفي التاريخي التحليلي الذي ساعدني على سياق وعرض بعض الوقائع التاريخية، وتحليل أحداثها مع التعرض إلى كافة المواقف والأحداث.

والخطة المتبعة لمعالجة الموضوع، وللإجابة عن الإشكالية المطروحة قسمت موضوع البحث إلى مقدمة وثلاث فصول ومدخل، والذي عنونته بـ " **المغرب الأقصى من الاطماع الأوربية إلى الحماية المزدوجة**"، وتناولت فيه بالبحث في الخلفية التاريخية للأطماع الاوربية على المغرب الأقصى. ثم بحثت في أحواله و أوضاعه في ظل المعاهدات الثنائية الأوربية. ثم محله وموقعه في ظل معاهدة الحماية المزدوجة (فرنسا واسبانيا).

وجاء الفصل الأول بعنوان "**المقاومة الشعبية المغربية في الجنوب المغربي1912-1934م**"، وبحثت من خلاله العديد من النقاط؛ وهي: جذور المقاومة الشعبية المغربية. ثم أحداث أو ثورة فاس1912م، وبعدها تطرقت إلى ثورة مولاي أحمد الحجامي. ثم ثورة أحمد الهيبة(1912-1919)م، والإشارة إلى مولده وسيرته، ثم دعوته وجهاده ضد الاستعمار الفرنسي، وختمت الفصل في البحث عن ثورة أخيه الشيخ مربيه ربه(1919-1934)م.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان **الفصل الثاني: المقاومة الشعبية المغربية في الاطلس المتوسط والكبير1914-1933م**، من بين النقاط التي أشرت إليها في هذا الفصل مقاومة قبائل زيان في الاطلس المتوسط من خلال مقاومة موحا وحمو الزياني(1914-1921)م. ثم مقاومة قبائل آيت عطا (1918-1933)م، ومن خلالها مقاومة التوزونيني1918م، بالإضافة إلى مقاومة عسو أو بسلام (1929-1933)م.

وخصصت **الفصل الثالث** والأخير لـ: **المقاومة الشعبية المغربية في منطقة الريف1921-1926م**، وقد تطرقت من خلاله إلى تاريخ مقاومة الريف، ثم مقاومة الريف محمد بن عبدالكريم الخطابي وأهم المعارك التي خاضعها ضد الاستعمار الإسباني. ثم درست تأسيسه لجمهورية الريف(1921-1925)، وختام الفصل بالتدخل الفرنسي في حرب الريف.

وختمت بحثي هذا المتواضع بخاتمة شاملة للموضوع. ودعمته بمجموعة من الملاحق منها بنود الحماية "معاهدة الحماية الفرنسية "30 مارس1912". وخرائط تمثل تقسيم المغربي بين الطرفين الفرنسي والإسباني، وأخرى تبين مراحل الاحتلال الاستعماري و أهم معاقل المقاومة المغربية(1907-1934)م- الملحق رقم05-.

ولا يخلو أي بحث تاريخي من صعوبات وعراقيل ومن بين الصعوبات التي اعترضنني اذكر منها:

- صعوبة الحصول على المصادر التي تناولت تاريخ المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار الأجنبي.
- معظم المصادر والمراجع التي تم تناولت الموضوع بشكل مختصر.
- ضيق الوقت المخصص لهذه المذكرة وإعدادها وضبطها بصفة جيدة.

ومن جملة المصادر التي اعتمدت عليها في اعداد المذكرة، وهناك مصدرين مهمين، **لعلال الفاسي**، الأول: بعنوان" **الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**"، يبحث من خلاله كيفية تغول التجار الأجانب وهذا

تحت طائلة الحماية من طرف قنصلياتهم . والثاني، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، طبعة جديدة، وقد استفدت منه للبحث في حيثيات التوقيع على المعاهدة واثاراها على الشعب المغربي وعلى السلطان عبدالحفيظ. ومصدر للوزاني محمد حسن ، **مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية–2– حرب الريف**، في حقيقة الأمر جاءت مذكرات حسن الوزاني في ستة أجزاء حيث غطت المرحلة مابين1900إلى غاية 1946م، وما اعتمدت عليه هو الجزء الثاني الذي تناول موضوع حرب الريف التحريرية، وكما تطرق إلى أهم الأحداث التي عرفتها القبيلة الريفية بعد فرض الحماية، مبرزا أهم الأسباب التي عرضت الريف إلى المطامع الأجنبية، والتي كان من بينها كثرة الثروات المتنوعة؛ ثم تناول بالدراسة للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي و الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه في حرب الريف وما قدمه من جهاد في سبيل البلاد.ومن المصادر التي استفدت منها كثيرا في الحديث عن مقاومة أحمد الهيبة، مصدر محمد المختار السوسي، المعنون **بـ"المعسول"**، في جزئه الرابع الذي به معلومات وافرة جدا عن تلك المقاومة، وهذا المصدر به عشرون جزءا. وكان اعتمادي أيضا على مصدر المنصوري أحمد بن قاسم(1897-1965)م، وهو من الذين عايشوا وعاصروا الظروف التي كان يتخبط فيها المغرب الاقصى، وجاء عنوان مؤلفه بـ" **كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر**"، والذي حققه محمد بن لحسن، وقدمه مصطفى الكتيري، وهو في الأصل مخطوطة، توجد نسخة مصورة منها بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم946م، والنسخة الأصلية في حوزة ابن المؤلف عزالدين المنصوري بالبيضاء.

واستفدت من مصدر **فرديك وايسجرير، على عتبة المغرب الحديث**، وكان عنوان كتابه الأصلي" Au Seuil du Maroc moderne"، والذي نشره في عام1949م، ترجمة، عبدالرحيم حزل، لكن فرديك في كتابه هذا ظل منحازا إلى الجانب الفرنسي إذ وصف الجنود المغاربة الذين خرجوا في ثورتهم بعد التوقيع على معاهدة الحماية بأبشع الصفات(السفاحون-الدهماء)، لدرجة أنه احصى خسائر الطرف الفرنسي من العسكر، وحتى من الأجانب، في حين اغفل إحصاء وذكر خسائر المغاربة من جنود ومدنيين. وعلى أي حال يُعتبر مصدرا هاما في تاريخ المغرب السياسي والاجتماعي، وحتى العسكري.

ومن المراجع التي اعتمت عليها في المذكرة ؛كتاب **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر– البنيات والتحولات1830–1912م** للباحث عمر أفا، به مادة علمية قيمة حول الخطط التنظيمية التي انتهجها قناصلة الدول الاوربية المقيمين بالمغرب الاقصى بغرض احكام السيطرة على التجارة المغربية وممارسة الضغط على السلاطين المغاربة. ولقد لخص لنا الباحث الصديق بن العربي في **كتاب المغرب**، الاتفاقيات التي ابرمت بين فرنسا وكل من إيطاليا وبريطانيا، واسبانيا، والمانيا، في اطار التسويات والمعاهدات الدولية النهائية بين مختلف هذه

الدول، وصولا معاهدة الحماية في عام1912م، وهذه الأخيرة رجعت للبحث في الحماية أصولها وتطورها مرورا بتعريفها الاصطلاحي، وحتى لمفهومها بالمنظور الاستعماري للباحث الباحث **إبراهيم كريدية**. وهذا بالإضافة إلى العديد من المراجع العامة نذكر منها: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، لعبد الكريم غلاب. وأيضا مرجع، عبد االله مقلاتي، **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر(الجزائر– تونس– المغرب– ليبيا)**. وكتاب الصقلي العربي ، **مذكرات التراث المغربي**، ترجمة: عبد الكريم حليم، ج5. ومرجع للقبلي محمد ، **تاريخ المغرب تحسين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب. وكتابي داهش محمد علي، **صفحات من الجهاد و الكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912–1927**. وكتاب **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**. وآخر لـ:ياغي إسماعيل أحمد ، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، قارة افريقية**. ضف إل ذلك منشورات المركز الخطابي الحروب الثورية، والتي حملت عنوان: **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية لثورة الريف الثالثة(1921–1926)**.

وكذلك مجموعة من المداخلات مجموعة من الباحثين في ل الندوة العلمية المنعقد أعمالها أيام13-14-15نوفمبر1991م، والتي كانت قد طبعت في كتاب بعنوان" **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904–1955م– الجذور والتجليات–"** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م.

وهذا بالإضافة إلى عدد من المقالات المنشورة في مختلف المجلات العلمية ومنها: مقال مهم جدا للأستاذة فادية **عبدالعزيز القطعاني**، "**الحركة الوطنية المغربية1912–1937م**"، المجلة الجامعة،العدد16، المجلد01، فيفري2014م، للبحث في أهم المعاهدات التي من خلالها حصلت القوى الاستعمارية الاوربية على امتيازات ومنها على السيطرة وحرية الاستيطان بالمغرب الأقصى. ومنشورات مجلة كان التاريخية الإلكترونية الأعداد50و23 منها مقال لبوطافي عبدالسلام ، " **تشريح الثورة الوطنية: ثورة الحجامي، ثورة أحمد الهيبة**". ومقال آخر لـ: زكي منير ،" **جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للقبائل المغربية آيت عطا نموذجاً**". ومقالات أخرى منها: ماء العينين النعمة علي، أحمد بومزكو، **الشيخ مربيه ربه العالم المجاهد**، في مجلة أمل: التاريخ – الثقافة – المجتمع، بالدار البيضاء. وأخرى في مجلة الذاكرة للباحث التباعي جواد ، **موحى وحمو الزياني نموذج للقواد الصغار بمغرب نهاية القرن19م وبداية القرن20م**.

المدخل :

المغرب الأقصى من الاطماع الأوربية إلى الحماية المزدوجة

1) – خلفية تاريخية للأطماع الاوربية على المغرب الأقصى.
2) – المغرب الأقصى بين المعاهدات الثنائية الأوربية.
3) – معاهدة الحماية المزدوجة (فرنسا واسبانيا)على المغرب الأقصى.

إن الموقع الجغرافي المغرب الأقصـــى في الجزء الشـــمالي من القارة الإفريقية، وإشـــرافه على البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي، وتوفره على إمكانيات اقتصادية أكسبه أهمية كبرى، وجعلت منه عرضة لأطماع القوى الاوربية الاستعمارية خاصة منها الفرنسية والاسبانية خاصة مع نهاية القرن19م، وبداية القرن20م، في محاولة منها مد نفوذها الاقتصادي والسياسي والعسكري على عدة مناطق منه.

1- خلفية تاريخية للأطماع الاوربية على المغرب الأقصـــى: خلال القرن16م ظل المغرب الأقصـــى وحدة مستقلة في منطقة دول شمال إفريقيا بعد أن تحولت الجزائر، وليبيا، وتونس، بقرار من الباب العالي، إلى إيالات عثمانية. ولم يشهد المغرب الأقصى تجربة الاحتلال الأجنبي إلا متأخرا في بدايات القرن20م حيث أصبح مثارا للأطماع العديدة والمنازعات المتكررة من أجل بسط النفوذ عليه بحكم موقعه الجغرافي الاستراتيجي على البحر المتوسط.

وفي القرن19م، وأمام التحولات الدولية الاوربية، وتطور قوى الإنتاج الرأسمالية، وجد المغرب الاقصى نفسه كباقي دول إفريقيا، تحت طائلة الضـــغط الاوربي من أجل الحصـــول على امتيازات عن طريق معاهدات تقنن وتضـــمن اســـتمرارها وتدعمها. وهذه المعاهدات في حقيقتها تهدف على بســـط النفوذ الأجنبي في البلاد، فبموجبها تمكنت الدول الاوربية من الحصول على حرية الاستيطان، وضمانات الأمن والتنقل والاتجار[1].

وكشف الباحث عمر أفا، في كتابه **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر- البنيات والتحولات1830-1912م**، في واحدة من الوثائق الاوربية، والمؤرخة بتاريخ18جوان1788م، عن مشروع الخطة التنظيمية التي انتهجها قناصلة الدول الاوربية المقيمين بطنجة في أواخر القرن18م، بقصد احكام السيطرة على التجارة المغربية وممارسة الضغط على السلطان كي يستجيب لرغبات التجار وأصحاب الوكالات المالية[2].

وفي نفس السياق، تذكر الباحثة فادية عبدالعزيز القطعاني في نفس المقال، أن أول امتياز خطير لدولة أجنبية هو معاهدة الصـــلح التي عقدها الســـلطان ســـليمان(1792-1822)م مع اســـبانيا، والتي نص على:(**أن المنازعات التي تنشـأ بين مراكشـي و أسـباني في الأراضـي المراكشـية يحدد اختصـاص القضـاء فيها تبعا لقاعدة" المدعي يتبع محكمة المدعى عليه"**)، وتوالت امتيازات أخرى من خلال عقد اتفاقيات ومعاهدات،

(1) فادية عبدالعزيز القطعاني، "**الحركة الوطنية المغربية1912-1937م**"، المجلة الجامعة،العدد16، المجلد01، فيفري2014م، ص35.

(2) عمر أفا، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر- البنيات والتحولات1830-1912م**، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط،2006م، ص ص24-25.

منها أبرام المغرب مع بريطانيا معاهدة في عام1856م، تم بموجبها سريان نظام الحماية على المراكشيين الذين يعملون في خدمة الأجانب(1).

وإجمالا يؤكد **المؤرخ علال الفاسي** في محاضرة له كان قد ألقاها في عام1948م، والتي قد طبعت في العام نفسه في كتاب بعنوان" **الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**"، **يقول فيها:(يرجع عهد الامتيازات إلى القرن19م حيث أصبح الاجانب المقيمون في المغرب لا يستجيبون للمحاكم الشرعية ويرفضون الخضوع لغير قناصلهم... ومنذ الفتة التي بين1870–1880م بدأ التجار والمتصرفون المختلفو الأنواع ينزلون بالمراسي المغربية حيث أخذوا يعملون تحت حماية قناصله على تعبيد الطرق للاستعمار والتسلط... ويوسعون دائرة حمايتهم الخاصة على حساب المواطنين المغاربة...)**، ويضيف قائلا:(**وصرخ عديد من علماء الدين صراخا عنيفا حكموا فيه بارتدادهم. وناشدوا الدولة القيام بواجبها في القضاء على هذا العرف القنصل الذي خلقه الأجنبي كقنطرة يمر عليها لاستعمار البلاد واستغلال خيراتها، وقد كان في مقدمة هؤلاء الصارخين الداعية المرشد الحاج محمد كنون وعلال بن عبدالله الفاسي**)، ويقول أيضا:(**وإزاء غضب الأمة توجهت الحكومة بالاحتجاج القاسي لمختلف الدول التي يهمها الأمر ولكم هذه الدول الاستعمارية لم يكن يهمها إرضاء المراكشيون بقد ما كان يهمها تركيز نفوذها الرسمي في بلادهم. وقد انتهت المفاوضات إلى قبول الاجتماع في مؤتمر خاص لدراسة القضية، وذلك في "مؤتمر مدريد" الذي انعقد لهذا الغرض سنة1880م ولكن ماذا كانت النتيجة؟... مراكش تطلب إلغاء الامتياز الأجنبي... لكن المؤتمر لم يقبله كما هو، وإنما يقرر إدخال البلاد في دائرة التنسيق الأوربي**)(2).

وظل المغرب الأقصى ملازما لنصوص المعاهدات التي عقدتها القوى الاوربية منها: مؤتمر فينا1815م، ومؤتمر إكس لاشابيل1819م والقاضية بإنهاء القرصنة في البحر المتوسط، والتخلي عن سياسة الجهاد البحري، ومنع رجال البحر من المغاربة من الاحتكاك بالسفن المسيحية. وقد فرض السلطان سليمان العزلة على المغرب وحدد للتجار الأوربيين موانئ للإقامة فيها، ومنعهم من دخول المغرب، وذلك في إطار عدم الرغبة في دخول صراع مع أوربا(3).

وفي عهد السلطان عبدالرحمان(1822-1859)م وجد المغرب الاقصى نفسه أمام جملة من التحولات والضغوطات، ومرتبطا بتياراتها، لاسيما منها الأزمة المالية التي أصابت المغرب سنة1825م نتيجة القحط

(1) فادية عبدالعزيز القطعاني، المرجع السابق، ص ص35-36.

(2) علال الفاسي، **الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة،1948، ص ص(4-6).

(3) فادية عبدالعزيز القطعاني، المرجع السابق، ص36.

جعلت السلطان عبدالرحمن يعمل على تقوية الأسطول للعودة إلى القرصنة، ولكنه اصطدم بالسفن الإنجليزية والنمساوية إذ قصفت السفن الإنجليزية طنجة عام1828م، كما ضرب الاسطول النمساوي العرائش وأصيلة وتطوان. هذا بالإضافة إلى أن المغرب الأقصى كان كغيره من البلدان الواقعة تحت الضغط الأوربي حيث شهدت هذه المرحلة حالة من تصاعد وتيرة مطالبة قوى الاقتصاد الرأسمالي الأوربي بالإصلاح هذا ما دفع الحكومة المغربية في القيام بمحاولات من أجل إصلاح دولتهم، وتقوية أسسها الاقتصادية والإدارية والعسكرية(1).

وخلال عهد السلطان حسن(1873-1894)م، ومحاولة منه لإصلاح اوضاع البلاد، والخروج من مأزق الاستعمار عمل السلطان على الاستفادة من التنافس الاستعماري لحماية بلاده، لاسيما بعد أن احتلال فرنسا لكل من الجزائر(1830)م وتونس(1881)م في عهده، على فسح المجال لألمانيا المنتصرة على فرنسا في حرب1870م، لتدخل بقوة في المغرب الاقصى دبلوماسيا وعمليا وتجاريا، وبالتالي حصولها على مكاسب اصبحت بها تنافس فرنسا و إنجلترا. لكن ما حدث كان عكس التوقعات؛ إذا أستمر الصراع الاستعماري على المغرب الاقصى(2).

وعرف المغرب الاقصى أيضا، مرحلة جديدة من التدخل الأوربي بعد هزيمتي إيسلي1844م، وحرب تطوان1859-1860م إذ حدث تطور في العلاقات الأوربية المغربية وصار في استطاعة أي جيش أوربي أن يتوغل في قلب المغرب الأقصى دون القدرة على صده إلا بتهديد من دولة أوربية أخرى، وهنا برزت في طليعة الدولة المتنافسة كل من بريطانيا وفرنسا، واسبانيا، التي لها مصالح خاصة ترتبط بموقعها من البحر المتوسط؛ ويتجلى ذلك الموقع الاستراتيجي للمغرب الأقصى بالنسبة لتلك الدول فيما يلي(3):

- **فرنسا**: كانت فرنسا أكثر الدول اهتماما بالمغرب إذ مع وصول الجمهوريين إلى الحكم وسيطرتهم على الشؤون الداخلية، اتخذوا مواقف شديدة خارج أوربا. و وضعوا برنامجا خاصا بالمغرب الأقصى منذ عام1880م ركزت فيه الجهود منها إنشاء سكة حديد تربط الجزائر بالمغرب وذلك من تلمسان إلى وجدة في مرحلة أولى على أن يمدد الخط في مرحلة أخرى إلى فاس(4).

(1) فادية عبدالعزيز القطعاني، المرجع السابق، ص ص36-37.

(2) نفسه، ص37.

(3) عمر أفا، المرجع السابق، ص ص33-34.

(4) محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول1873-1894م/1290-1311هـ**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1989م، ص216.

ومن الجانب التجاري فقد جعلت فرنسا من مدينة وهران مستودعا للبضائع الفرنسية المواجهة للمغرب الاقصى، مع ربط المنطقة بالموانئ الفرنسية خاصة مدينة مرسيليا[1]. وهنا يتضح أن فرنسا كانت طامعة في بسط نفوذها على المغرب الأقصى بعد أن احتلال مصر1798م والجزائر1830م، وتونس1881م؛ فبتواجد فرنسا في تونس، وخاصة الجزائر إذ أصبحت لها حدود مشتركة مع المغرب، أصبحت لها مصالح حيوية في المغرب الاقصى، وهذا ما عبر عنه أوجين اتيين، الذي كان يتزعم في مطلع القرن20م الفريق الاستعماري في البرلمان الفرنسي بقوله:(**إن لفرنسا في المغرب حقوقا و واجبات تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى، و إن الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، فالجزائر قادتنا إلى تونس، وينبغي أن تقودنا إلى المغرب**)[2].

وهنا لا يجب أن ننسى، أن فرنسا كان مشروعها منذ القدم احتلال كل دول شمال إفريقيا، ويتجلى ذلك من خلال كتابات بعض المفكرين الفرنسيين في القرن18م، وأيضا، في مخطط نابليون الذي قام ضباطه باستطلاعات في شمال إفريقيا من بداية القرن19م.

– **اسبانيا:** نظرا لكونها احتلت مواقع متعددة في شواطئ المغرب الاقصى على الواجهة الجنوبية للبحر المتوسط من القرن15م، وبالخصوص في سبتة ومليلة، فإنها تعتبر نفسها في القرن19م صاحبة حق تاريخي يخول لها احتلال المغرب الاقصى.

– **أما بالنسبة لبريطانيا:** فكانت حريصة على بقاء نفوذها على جبل طارق كنقطة استراتيجية تحمي ملاحتها في غرب البحر المتوسط، ويهمها بقاء المغرب الأقصى في الضفة المقابلة من المضيق منتميا إليها لتعزيز الأمن الملاحي ضد أي نفوذ أجنبي محتمل يهدد الكيان البريطاني في المنطقة. إضافة إلى ذلك عنصر المنافسة بينها وبين القوات البحرية الفرنسية المنشرة في البحر المتوسط. واعتبرت المغرب الاقصى سوقا رائجة للمنسوجات القطنية المصنوعة بمدينة مانشيستر[3]. بالإضافة إلى أن رجال السياسة في بريطانيا كانوا يفكرون في الاستحواذ على المغرب الأقصى، وما يؤكد هذا الطرح ما قاله سالزبوري سنة 1887م، بأنه:(**لو كان سيتم تقسيم ما"للمغرب" فإن شهيته ستكون مفتوحة**)[4].

([1]) عمر أفا، المرجع السابق، ص ص33-34.

([2]) شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا– تونس– الجزائر– المغرب)**، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1977م، ص313.

([3]) عمر أفا، المرجع السابق، ص ص(32-34).

([4]) عياش ألبير، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، ترجمة، عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط،1985م، ص50.

هذه هي أهم الدول ذات المصالح المباشرة التي تنافست على احتلال المغرب الأقصى، ويجمع بينها تقارب في المجال الجغرافي والمصـــالح الاقتصـــادية والتجارية، ولم تظهر كل من إيطاليا وألمانيا في مجال التنافس إلا بعد سنة1870م، حينما حققت كل منهما وحدتها السياسية على الصعيد الأوربي[1].

ألمانيا: أعلن بســمارك عشـية انعقاد مؤتمر مدريد أنه ليس لألمانيا مصــالح في المغرب الاقصــى، لكن تظافر جهود المانيا وانجلترا تركت المؤتمر يقرر مبدأ المســـاواة في التجارة لكل الدول في المغرب، مما جعل ألمانيا تخرج من المؤتمر وهي أكثر الدول اســـتفادة حصـــولها على حقوق مماثلة لبقية الدول التي كان لها علاقات قديمة معه. وما أن حلت سـنة1886م حتى حلت بالموانئ المغربية سـت شـركات ألمانية هي فروعا لشـركات هامبورغ، وبريم، وسـتيتن. كما تعرض الشـاطئ المغربي إلى حملة تجارية عرضـت خلالها عينات من المنتجات الألمانية، ومنه التعرف على اهتمامات الســـوق المغربي في الدار البيضـــاء وإقامة صـــلات تجارية مع تجار مغاربة[2].

وقد اهتمت الصحافة الألمانية أيضا بإبراز ثروات المغرب الأقصى وامكانياته الضخمة، وتم التعبير بوضوح عن الرغبة في المســاهمة في أي تقسـيم محتمل للمغرب، وكان الديبلوماسـيون في طنجة والقناصـل في المراسـي يراقبون بعضـهم البعض، كما كانوا يوسعون نفوذهم ومصـالحهم ويشـجعون إقامة مواطنيهم بالمغرب، ويضـاعفون عدد محمييهم من المغاربة ومن وسطاء وشركاء، وعملاء سياسيين؛ حيث كان لفرنسا واسبانيا في عام1911م مـابين4000 و5000محميي، و2500مواطن تقريبـا، و كـان لألمـانيـا مـا لا يقـل عن3381محميـا[3]. ومن هنا، عملت كل دولة على حدة من أجل الحصـــول على امتيازات بموجب إبرام عدد من المعاهدات والمواثيق الدولية.

2- المغرب الأقصـــى بين المعاهدات الثنائية الأوربية: ســعت الدول الاســتعمارية الأوربي منذ منتصــف القرن18م كما ذكرنا سابقا، في أن يكون لرعاياها بالمغرب الاقصى من الامتيازات ما يفوق الحقوق التي يتمتع بها المواطن المغربي[4]، وبعد عام1900م زاد تنافس القوى الاســـتعمارية واســـتعمالها لنفس الوســـائل التي اسـتخدمت ضــد مصــر وتونس1875-1881م على التوالي، حيث أنها عملت على خلق مصــاريف للبلاد،

(1) عمر أفا، المرجع السابق، ص34.

(2) محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص ص(231-234).

(3) عياش ألبير، المرجع السابق، ص51.

(4) إبراهيم كريدية، **الحماية أصلها وتطوراتها**، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، د.ت، ص5.

وحثها على اللجوء إلى القروض هذا من جهة، ومن جهة أخرى افتقار السلطان عبدالعزيز ابن السلطان الحسن الأول* لأي تجربة في الحكم، وصغر سنة انذاك22سنة، كلف المغرب الاقصى استقلاله(1).

ومع مطلع القرن20م ابرمت فرنسا العديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول الأوربية منها: ايطاليا وبريطانيا واسبانيا لتمهيد السبيل أمام السيطرة الفرنسية على المغرب الاقصى، بداية من الاتفاق الفرنسي الايطالي في عام1902م وصولا إلى التدخل المباشر في المغرب الاقصى وفرض الحماية المزدوجة (الفرنسية-الإسبانية) في سنة 1912م مرورا بالاتفاق الفرنسي- البريطاني لعام1904م.

ولقد لخص لنا الباحث الصديق بن العربي في **كتاب المغرب**، الاتفاقيات التي ابرمت بين فرنسا وكل من إيطاليا وبريطانيا، واسبانيا، والمانيا، في اطار التسويات والمعاهدات الدولية النهائية بين مختلف هذه الدول نجمله فيما يلي(2):

2-1- الاتفاق الفرسي- الإيطالي(1900-1902): عقدت فرنسا من أجل أهدافها التوسعية الاستعمارية في المغرب الأقصى، اتفاقا مع إيطاليا، اتفق فيه على أن تترك إيطاليا لفرنسا اليد المطلقة في المغرب في نظير ترك فرنسا لإيطاليا حرية التصرف في ليبيا.

2-2- الاتفاق الفرسي- البريطاني1904م: وبموجبه تعهدت فرنسا بعدم التدخل في عمل بريطانيا بمصر كما تعهدت بريطانيا بأن لا تتدخل في عمل فرنسا بالمغرب الأقصى بشرط أن لا يمس هذا العمل ما لها من حقوق في المغرب الأقصى بموجب المعاهدات السابقة.

2-3- الاتفاق الفرسي الاسباني(اكتوبر1904)م: هذا الاتفاق وقع في باريس لم يعط اسبانيا السلطة الكاملة في المنطقة التي حددت لها في الشمال. وقد ألحق بهذا الاتفاق اتفاق سري آخر حددت بموجبه منطقة نفوذ اسبانيا في شمال المغرب، وأخرى في الجنوب، وأطلق فرنسا بموجب هذا الاتفاق السري يد اسبانيا للعمل في المنطقتين بحرية، وهنا يمكننا القول بأن اتفاقيتي أفريل وأكتوبر1904م كانتا بمثابة استهلال للحماية الثنائية على المغرب الأقصى(3).

---

* **عبد العزيز**: هو ابن السلطان الحسن الأول من أم جركسية هي لالة رقية، وكان وليا للعهد بدل أخيه مولاي محمد، وأعلنت وفاة والده وعمره لا يتجاوز 14سنة عن طريق باحماد الذي تولى الوصاية على العرش عمليا بصفته وزيرا. أنظر: عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق ص8

عُزل مولاي عبدالعزيز في4جانفي1908م من طرف سكان فاس، وبايعوا اخيه مولاي عبدالحفيظ، بعد أن اتهموه بالعجز عن القيام بمصالح البلاد نتج عنه استيلاء الأجانب على توات ونواحيها وفجيج وعيون، وبني مطهر، و وجدة والدار البيضاء. للمزيد ينظر: علال الخديمي، **التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب1894-1910م- حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية-**، الطبعة الثانية، الرباط،1994، ص361.

(1) عياش ألبير، المرجع السابق، ص ص48-51.

(2) الصديق بن العربي، **كتاب المغرب**، الطبعة الثالثة، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط، 1984، ص ص27-28.

(3) شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص321.

2-4- الاتفاق الفرسي الالماني(1911م): اعترفت المانيا خلاله بحق فرنسا على احتلال المغرب الأقصى لتوطيد النظام العام والأمن، وتمثيل فرنسا للمغرب الأقصى في المفاوضات مع الدول ومراقبة المالية، والقضاء والاقتصاد، وفي المقابل ذلك تنازلت فرنسا لألمانيا عن جزء من الكونغو[1].

وبهذه الاتفاقيات الثنائية، تمكنت فرنسا من إنهاء جميع خلافاتها الاستعمارية مع القوى الاوربية المنافسة لها في المغرب، ولم يبق أمامها سوى إعلان الحماية على المغرب الأقصى، وهو ما هيأت له الظروف الداخلية التي كانت تمر بها البلاد، فقد ادركت فرنسا أن السلطان عبدالحفيظ فقد هبيته ونفوذه بين مواطنيه بسبب حكومته الاستبدادية وتدنى الوضع الاقتصادي وخضوعه للمخططات الفرنسية، كل هذا أدى إلى فقدان السلطان شرعية منصبه بين أبناء شعبه، ومن هنا كان على فرنسا وضع حد لهذا الوضع بأن تنهي عمليا استقلال البلاد السياسي والاقتصادي بفرض حمايتها عليها، وهو ما تم في30مارس1912م بعد أجبار السلطان على التنازل عن العرش في11أوت من العام نفسه[2].

3- معاهدة الحماية المزدوجة (فرنسا واسبانيا) على المغرب الأقصى: قبل التطرق إلى حيثيات هذه المعاهدة يجب التطرق إلى الحماية كمصطلح ومدولاته.

يرى الباحث إبراهيم كريدية، في كتابه **الحماية أصلها وتطوراتها**، أن لمصطلح الحماية مدلولات كثيرة؛ والشائع من استعمالاتها اللغوية يفيد الدفاع، ومنع الأذى، والحفظ، مثله:"حماية أهل الذمة في الإسلام" حماية الأقليات" و"حماية الأمن القومي العربي". ويستخدم في الاصطلاح الدبلوماسي على صعيد العلاقات الدولية بمعنى تفويض من طرف دولة إلى دولة صديقة لها، حتى تحمي مواطنيها العاملين أو المستوطنين بدولة لا تربطها بها علاقات دبلوماسية بسبب نزاع عسكري أو خلاف ايديولوجي أو غير ذلك[3].

وكما يستعمل في الميدان الاستعماري للتعريف بنظام احتلال وهيمنة يقوم على معاهدة ثنائية بين دولة استعمارية ودولة متهالكة مستضعفة، تجيز للدولة الأولى التسليط على الثانية واخضاعها للاحتلال بدعوى بذل كل المساعدات الكفيلة بترقية شؤون الدولة المحمية في كافة النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، مع المحافظة على مؤسساتها الدينية والتقليدية[4].

---

(1) الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص28.

(2) فادية عبدالعزيز القطعاني، المرجع السابق، ص45.

(3) إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص11.

(4) نفسه.

أ- نص المعاهدة: وهنا سنتناول نص المعاهدة، **ينظر الملحق رقم:01**، وهو النص العربي غير الرسمي لمعاهدة الحماية، فبعد قبول مولاي عبد الحفيظ بتوقيع معاهدة الحماية عملت الجمهورية الفرنسية وحكومة المغربية على تأسيس حكم منظم في المغرب الأقصى قائم على المساعدة من أجل إدخال الإصلاحات وضمان نمو الاقتصادي في البلاد، وأهم بنود ما جاء في المعاهدة نلخصها في تسع فصول، وهي:

الفصل الأول: يتضمن هذا الفصل العمل على إنشاء نظام جديد بالمغرب، يسمح بإدخال جميع الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والقضائية، والمالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في إدخالها للتراب المغربي.

الفصل الثاني: من حق الحكومة الفرنسية احتلال المناطق التي تراها ضرورية من أجل استتباب الأمن، وتأمين المعاملات التجارية في التراب المغربي.

الفصل الثالث: تتعهد الحكومة الفرنسية بتأييد السلطان، وحمايته من كل خطر يمس بكرامته أو عرشه، مع تقديم نفس التأييد لوارث العرش ولتابعيه من بعده.

الفصل الرابع: على السلطان أن يعلن للأمة المغربية قيام هذا النظام الجديد وضرورة الالتزام بالتدابير التي يقتضيها نظام الحماية طبقا لاقتراح الحكومة الفرنسية.

الفصل الخامس: يمثل الحكومة الفرنسية بالمغرب مقيم عام يسهر على تنفيذ كل ما تنص عليه معاهدة الحماية. وسيكون هو الوسيط بين السلطان والنواب الأجانب، وبينهم وبين الحكومة المغربية.

الفصل السادس: تكليف نواب فرنسا الدبلوماسيين بتمثيل المغرب وحماية الرعايا المغاربة والمصالح المغربية في الخارج.

الفصل السابع: يتضمن هذا الفصل، أتفاق مشترك بين الحكومة الفرنسية والمغربية حول تسيير وتنظيم مالي يسمح بضمان التزامات الخزينة الشريفة وجباية مداخيل المملكة بانتظام، مع رعاية الحقوق المخولة لحامل سندات الديوان العمومية المغربية.

الفصل الثامن: منع السلطان من منح أي امتياز على إي شكل كان، أو عقد اتفاقية دون ترخيص الحكومة الفرنسية.

الفصل التاسع: يقدم هذا الاتفاق للحكومة الفرنسية من أجل المصادقة عليه، مع تسليم نسخة منه لجلالة السلطان المغرب[1].

([1]) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج3 ،دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء،1994م، ص ص345-346.

وإقرارا بما جاء في المعاهدة، حرر الموقعان هذا الاتفاق وختماه بطابعهما، وحرر بفاس في30مارس1912م الموافق لـــــ11ربيع الثاني1333هـــ، بتوقيع السفير الفرنسي رينيو، وسلطان المغرب عبدالحفيظ(1). ومن هنا نستطيع القول بأن فرنسا بهذه المعاهدة، ضمنت حق إقامـــة نظـــام جديـــد للإصـــلاحات الإدارية والقضائية والاقتصادية والمالية والعسكرية، كما منحتها حق احتلال أية أرض مغربيـــــة تراها ضرورية للمحافظة على الأمن والتجارة. كما كفلت المعاهدة لفرنســا حق التمثيل الخارجي، وأن ينوب عن فرنســا في المغرب مقيم عام وقائد عسكري.

وبالتوقيع على معاهدة الحماية، جعلت مولاي عبد الحفيظ ينقض شروط بيعته، ومنها: (**أن السـلطان ليس له الحق أن يبرم أي معاهدة تجارية أو سـلمية" سـلمية أو اقتصـادية"، إلا بالرجوع إلى الشـعب ومصـادقته وهذه البيعة عقدا بين الملك والشـعب يخرج بنظام الحكم من الملكية المطلقة إلى ملكية مقيدة دسـتورية وهي تجرد الملك من حق عقد أي معاهدة من شأنها أن تمس بشؤون الأمة**)(2)، وهكذا ما لم يلتزم السلطان بما جاء في البند الســادس من البيعة الحفيظية1908م(*)، وبالتالي فرض الفرنسـيون على السـلطان مولاي عبد الحفيظ التنازل عن العرش، بعد أن كان يظن أنه سيوقع على المعاهدة، ويبقى سـلطان الحماية، إلا أنه عُزل من طرف المقيم العام الفرنســـي ليوتي(**)، وارتقى أخوه الأصـــغر مولاي يوســـف مكانه، وأمر بترحيله إلى فرنســـا يوم12أوت1912م بعد أربعة(04) أشـــهر و13يوما من التوقيع على نص معاهدة الحماية، ولم يعد إلى

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص347.

(2) علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، طبعة جديدة، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة السادسة مصححة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2003م، ص ص108-109.

(*) **البيعة الحفيظية**:جاءت هذه البيعة بعد خلع **المولى عبدالعزيز** (**1894–1908**)**م**، ومبايعة **المولى عبدالحفيظ**(**1908–1912**)**م**، وهي البيعة التي كتبت بفاس، و اعتبرت ميثاقا قوميا ودستوريا، وهي تشترط على الملك الجديد:

1) أن يعمل جهده في استرجاع الجهات المقتطعة من الحدود المغربية
2) أن يبادر بطرد الجنس المحتل من الأماكن التي احتلها.
3) أن يسعى جهده في الغاء معاهدة الجزيرة لأنه لم يرجع للشعب فيها.
4) أن يعمل على الغاء الامتيازات الأجنبية.
5) ألا يستشير الأجانب في شؤون الأمة.
6) ألا يبرم مع الأجانب عقودا سلمية أو تجارية إلا بعد استشارة الأمة. ينظر: علال الفاسي، المصدر السابق، ص108.

(**) **ليوتي أو ليوطي**: اسمه الكامل "لوي هوبير كونزالف ليوط" هو أول مقيم عام فرنسي عرف بالشدة وقد اختارته فرنسا بعد توقيع الحماية 1912م، شغل منصب المقيم العام في المغرب الأقصى، والقائد العام للقوات المسلحة حتى نهاية حرب الريف سنة 1926م. للمزيد أنظر: جورج سبيلمان، **المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912–1956**، ترجمة، محمد المؤيد، الطبعة الأولى، منشورات أمل التاريخ، الثقافة، المجتمع، 2014، ص22.

المغرب الأقصـــى، إلا بعد وفاته حيث نقل جثمانه يوم في 14أفريل1937م للدفن في محفل كان تكريما لروحه[1].

وبمجرد بسط الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى حتى دخلت فرنسا في محادثات مع اسبانيا في شأن تنفيذ الاتفاقية السرية المبرمة بينهما في شأن تقسيم المغرب لتتفرغ كل واحدة لبسط نفوذها في المنطقة الخاصة بها وانتهت المذكرات بعقد اتفاق يوم27نوفمبر1912م والذي ينص على[2]:

– تتعرف فرنسا بحق اسبانيا في السهر على الأمن بمنطقة نفوذها وادخال الاصلاحات التي تراها ضرورية في الميادين الادارية والاقتصادية والقضائية والحربية، ووضع المنطقة تحت إدارة مقيم عام بجانب خليفة السلطان الذي يســتقر بتطوان وتتعرف اســبانيا بالســهر على تطبيق المعاهدات المبرمة بين الدول فيما يتعلق بالمغرب الأقصى.

– وضع نظام خاص بطنجة وعلى حقوق اسبانيا في مقاطعة ايفني و رسم حدودها وعلى عدم تدخل حكومة المخزن في شؤون المنطقة كما التزمت اسبانيا بعد تنازلها لاحد عن حقوقها في مناطق نفوذها.

وانتهت المحادثات بنتيجة مفادها ضرورة عقد اتفاق بين الطرفين لرسم حدود كل دولة، ونص هذا الاتفاق على تقسيم المغرب إلى ثلاث مناطق وهي :**– المنطقة الأولى**: تشمل منطقة الشمال المغربي الخاصة بإسبانيا، وتسمى المنطقة الخليفية لأن السلطان يمثل فيها الخليفة وعاصمتها تطوان، ويدير شؤونها شخص يطلق عليه المندوب السامي، وتقدر مساحتها بحوالي22ألف كم^2.

– المنطقة الثانية: منطقة الحماية الفرنسية" المنطقة السلطانية"، وتقدر مساحتها442ألف كم^2 تقريبا، وهي منطقة خاصة في الجنوب، تقع بين نهري درعة وسوس، وتشمل القسم الأكبر من البلاد .

– المنطقة الثالثة: منطقة طنجة الدولية، وبمساحة تقدر بـــ35كلم^2، لها نظام دولي خاص بها، حيث تشترك في إدارتها الدول الأوربية التي لها نفوذ بالمنطقة، وذلك عن طريق مجلس يضـــم قناصـــلها[3]. **ينظر الملحق رقم:02.**

وعلى أثر توقيع معاهدة الحماية زاد من غضب السكان واستيائهم، كما زاد في ضراوة المعارك التحريرية التي كانت تخوضـها القبائل البربرية في جبال الريف والأطلس المتوسـط وتافيلالت وغيرها من المناطق ضـد غارات

([1]) عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**،ج3 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص178.

[2] الصديق بن العربي، المرجع السابق، ص32.

[3] عبد االله مقلاتي، **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر(الجزائر– تونس– المغرب– ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2013،ص 124. وأيضا: شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص ص337-338.

الدول الاجنبية التي بدأت قبل اعلان الحماية بسنوات كثيرة. كما ألهب هذا التوقيع حماس الشعب المغربي القاطن بالمدن للمقاومة المسلحة ضد الاستعمار[1].

وفي ختام هذا المدخل من الدراسة نستطيع القول:

-كان المغرب الأقصى محل أطماع وتنافس استعماري من طرف الدولة الاوربية (فرنسا-اسبانيا- بريطانيا- ألمانيا) من أجل الحصول على امتيازات بحكم موقعه الجغرافي الاستراتيجي، إذ حاولت هذه الدول الضغط على المغرب من أجل عقد اتفاقيات ومعاهدات.

- منحت الاتفاقيات التي أبرمتها فرنسا مع الدول الأوروبية(اسبانيا- بريطانيا- ألمانيا وإيطاليا)، التي كانت تنافسها على المغرب الأقصى الأولوية للانفراد والسيطرة عليه، و قد أعطت فرنسا لنفسها الشرعية لوجودها به من خلال التوقيع على معاهدة الحماية في 30مارس1912م؛ مما أفقدت المغرب الاقصى سيادته واستقلاله.

- نظام الحماية على المغرب الأقصى لم يكن بالشكل الذي ينبغي أن يكون عليه، فهي لم تحترم الشروط التي جاءت فيه، بمعنى أنها لم تقم باحترام المفهوم الصحيح لمصطلح الحماية كما جاء تعريفه في الميدان الاستعماري والذي يكفل المساعدة وترقية شؤون الدولة المحمية في كافة النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، مع المحافظة على مؤسساتها الدينية والتقليدية.

- وما زاد الطين بلة، لم تتوقف فرنسا عند هذا الحد، بل سعت جاهدة لتقسيم الوحدة الترابية للمغرب الاقصى إذ عقدت اتفاق مع اسبانيا في27 نوفمبر1912م وضعت بموجبه الشمال المغربي تحت الحماية الإسبانية والمنطقة الجنوبية لها، وبهذا سقط المغرب الاقصى تحت الحماية الثنائية، هذا ما أدى رد فعل غاضب لدى المغاربة باندلاع ومواصلة المقاومة الشعبية في مختلف ربوع المغرب الأقصى، وهذا هو موضوع بحثنا في الفصول اللاحقة.

[1] عبد الحميد المرنيسي، **الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1978، ص13.

الفصل الأول:

المقاومة الشعبية المغربية في الجنوب المغربي1912-1934م.

تمهيد:

1-جذور المقاومة الشعبية المغربية.

2- أحداث أو ثورة فاس1912م.

3- ثورة مولاي أحمد الحجامي.

4- ثورة أحمد الهيبة(1912-1919)م.

أ- أحمد الهيبة مولده وسيرته.

ب- دعوته وجهاده. .

5- ثورة الشيخ مربيه ربه(1919-1934)م.

أ-الشيخ مربيه ربه حياته ومسيرته.

ب- دعوته وجهاده.

تمهيد: كانت اتفاقية عقد الحماية المبرمة بتاريخ30مارس1912م بمثابة احكام لبدايات التدخل الفرنسي في شؤون المغرب الذي اتخذ عدة أشكال مثل الاتفاقيات والمعاهدات غير متكافئة والحمايات القنصلية والضغوط الاقتصادية وغيرها. وهكذا عرف المغرب الأقصى منذ بداية القرن20م عدة حركات وثورات استهدفت النضال ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني. وقبل الحديث والبحث في رد فعل الأمة المغربية على معاهدة الحماية، وأهم الثورات الشعبية المغربية ضد الاستعمار المزدوج الفرنسي-الاسباني، وجب علينا الرجوع بالتاريخ إلى جذور المقاومة المسلحة قبل هذا الاستعمار.

1-جذور المقاومة الشعبية المغربية: وهنا يذكر **الأستاذ الباحث عبدالله العياشي** في مداخلة له، والتي كانت بعنوان:(**جذور المقاومة المغربية ومراحل تطورها)** في الندوة العلمية المنعقد أعمالها أيام13-14-15نوفمبر1991م والموسومة بـ" **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م" الجذور والتجليات،** بجامعة ابن زهر المملكة المغربية، والمنشورة في شكل كتاب عام1997م، ناقش في مداخلته المقاومة المغربية المقاومة بمفهومها الواسع ، واختلاف الباحثين حول تاريخ بدايتها وقد لخص الباحث:(**بدايتها مع بداية نزول المستعمرين الإسبان والبرتغال على شواطئ المغرب في أواخر القرن14م، وبداية القرن15م. وفي هذا السياق عرف المغرب حدثين كان لهما وقع عميق في الشعب المغربي؛ الأول تمثل في اعتداء اقترفه الجيش الاسباني على مدينة تطوان عام1399م نتج عنه تخريب المدينة عن آخرها وإبادة الكثير من سكانها...، قام الجيش الاسباني بهذا العدوان بدعوى الانتقام من نشاط القراصنة المغاربة في البحر الأبيض المتوسط الذين في الواقع كانوا يحمون شواطئ البلاد، والحدث الثاني تجسم في احتلال البرتغاليين لمدينة سبتة في عام1415م وانطلاقا من هاذين العدوانيين شرع الاسبان والبرتغال في انجاز مخططهم والرامي إلى السيطرة على شواطئ المغرب وظل التنافس بينهما حتى تم عقد تحت اشراف البابا ألكسندر السابع، تحالفا تقاسموا بموجبه هذه الشواطئ؛ فكان شاطئ المحيط لنصيب البرتغال، وشواطئ البحر الأبيض المتوسط لحسب الإسبان".** ويضيف قائلا:" **إلا أنه ومنذ البداية اصطدم الغزو المزدوج بمقاومة القبائل ولا سيما منها المجاورة لأماكن الاحتلال...هذه المقاومة كان يغذيها الحافر الديني الجهاد، والغيرة الوطنية"**[1]، فالمقاومة الشعبية إذا هي تمثل الفكر الشعبي الذي اشتركت فيه عناصر الجهاد البحري، اعتراض السفن الأجنبية للمغاربة والجماعة الإسلامية والاستيلاء عليها وحجز ركابها، وهذه المقاومة

([1]) مجموعة من الباحثين، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م- الجذور والتجليات-** ، الندوة العلمية المنعقد أعمالها أيام13-14-15نوفمبر1991م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م، ص70.

امتداد لنشاط قديم يرجع إلى عدة قرون وبالأخص إلى أوائل القرن11هـ/17م بعد طرد بقايا المسلمين من إسبانيا وهذه المقاومة دعمتها الدولة العلوية انطلاقا من مولاي إسماعيل، ولم تختلف بالرغم من قرار مولاي سليمان بوقفها إلى غاية أواخر القرن19م وليس لهذه الحركة من فلسفة سوى محاولة إضعاف الطرف الأوربي الذي هو في نظر هذه الحركة كافر معاد للإسلام، كما أن حركة الجهاد البحري ساهمت على حد كبير في عرقلة نشاط السفن الاستعمارية التي تتحرك باسم الكشوف الجغرافية[1]، وهذه الأخيرة اتخذتها الدولة الأوربية كذريعة لضرب واحتلال موانئ الشمال الإفريقي.

وقد تواصلت هذه المقاومات الشعبية المغربية ضد أي مستعمر اجنبي، فكانت المقاومة المسلحة الأولى المغربية ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني في بداية القرن20م، والتي دامت30 سنة، وقد اتسمت بالشمولية إذ عمت جميع مناطق المغرب الأقصى؛ بعد أن شرعت فرنسا في مساعيها للاستيلاء عليه، وتحالفت مع اسبانيا لإنجاز مخططها الرامي إلى استعمار وتجزئة ترابه وتوزيع اطرافه بينهما[2]. ويرى **إبراهيم حركات** في كتابه **المغرب عبر التاريخ**، في الجزء الرابع، (**أن المقاومة الشعبية المغربية كلما اقتربت من عهد الحماية ظهر عليها التأثير الوطني أكثر، أي الدفاع عن التراب لا عن الدين والمسلمين فحسب، وهي في مجملها الحيلولة دون تمكين العدو من أن يسيطر ما على خيرات البلاد أو ترابها أو سياستها الحكومية، هذا بالإضافة، إلى أن هذه المقاومة الشعبية حركتها في حالات كثيرة دوافع اقتصادية**()[3].

وفي سؤال قد طرحه السيد **علال الفاسي** زعيم حزب الاستقلال المراكشي-: **ماذا كان موقف الأمة من هذا المشروع؟** وهنا يقصد بالمشروع: **– معاهدة الحماية–** في محاضرة كان قد ألقاها بمناسبة مرور36سنة على فرض الحماية على المغرب، والتي طبعت في كتاب- سابق ذكره-:(**لقد أعلنت غضبها في الحين؛ فثار سكان العاصمة ورفض الجيش طاعة الملك الذي هو رئيسه، وجرت بين الفرنسيين والمغاربة بفاس حروب ما يزال المستعمرون يسمونها بأيام فاس الدامية، واستمر هذه الثورة على الحماية**()[4].ويذكر أيضا، في كتابه: "**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**": (**يكاد العهد الذي يفصل بين31مارس1912م،و16ماي1930م أن يكون عهد كفاح عسكري محض، لأن الأغلبية الساحقة من سكان المغرب أعلنت الثورة بعد توقيع الحماية. ولم يكن إخضاعها لها إلا بعد جهود جبارة وبصفة**

(1) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج4 ،دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء،1994م، ص ص91-92.

(2) مجموعة من الباحثين، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904–1955م– الجذور والتجليات–** ، المرجع السابق، ص ص71-72.

(3) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص93.

(4) علال الفاسي، **الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، المصدر السابق، ص ص21-22.

تدريجية، ولأن نخبة الجيل الذي سبق الحماية أو عاصرها التجأت كلها إلى الجبال، تقود الثورة، وتدبر الكفاح، والذين غلبتهم القوة على أمرهم أصيبوا بدهشة العسكري المغلوب الذي لا يستطيع أي عمل بعد تجريده من السلاح، فكان لزاماً لإزالة هذه الدهشة العامة أن ينتظر نشوء جيل جديد متشبع بروح المقاومة السلمية التي لا تعطي السلاح المقام الأول في كل معركة()[1].

وجاء في وصفه لهذه المقاومة الشعبية المغربية للاستعمار المزدوج الفرنسي والاسباني، بقوله:(**فلم يحتل الفرنسيون أو الاسبانيون حلة من الحلل أو قرية من القرى إلا بعد أن أسال أبناؤها ما استطاعوا من دمائهم ودماء أعدائهم، وقد سجلت مراكش- المغرب- في هذا الباب من دروب البطولة وأصناف الإقدام والفحولة ونماذج الشهامة والرجولة**... ()[2]. وهنا تذكر كتب التاريخ **مقاومة الشاوية ومجاورهم**، وهي مقاومة المقاومة المسلحة للبدايات الأولى للتدخل الفرنسي في المغرب بعد احتلاله لمدينة وجدة في مارس1907م، والتي اندلعت بعد نزول الجنرال "أريل" بالدار البيضاء تقدمت قبائل الشاوية للكفاح وخاصة بني مذكور من شهر سبتمبر سنة1907 إلى سنة1908م. ثم جاء الجنرال "داماد" فاستمر القتال متجها إلى فاس، واضطرت السلطات العسكرية لتعيين الجنرال "موانى" خلفا عنه، ولم تستطع الجيوش الفرنسية الوصول إلى فاس إلا بعد ثلاثة أعوام في قطع مسافة لا تتجاوز مائتين وتسعين(290)كلم[3] قبائل الشاوية وما جاورهم من قبائل خاضعوا العديد من المعارك الدامية معبرين من خلالها رفضهم لكل دخيل أجنبي[4].

2- أحداث أو ثورة فاس1912م: تحتل أحداث مدينة فاس مكانة هامة في تاريخ المغرب المعاصر، ولئن كانت الصحافة الفرنسية في ذلك الوقت، وكذلك الكتابات التاريخية الاستعمارية قد وصفتها **بـ" الأيام الدامية لفاس"**، فإن الوطنيين المغاربة من أمثال **محمد الفاسي** نعتوها، فيما بعد **بـ" انتفاضة فاس"**[5]، خلالها ثار أهل فاس بعد أسبوعين من توقيع معاهدة الحماية بين الفرنسيين والسلطان عبد الحفيظ[6]، وترجع شرارتها الأولى حسب الباحثة **بهيجة سيمو**، في كتابها:"**الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912م**" إلى انتفاضة

([1]) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص141.

([2]) علال الفاسي، الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية، المصدر السابق، ص ص24-25.

([3]) نفسه، ص25.

([4]) محمد بن جلون،" **معالم الكفاح الوطني والمقاومة في سبيل الاستقلال والوحدة**"، في اعمال الندوة العلمية الوطنية، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م- الجذور والتجليات-**، المنعقدة أيام13-14-15نوفمبر1991م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م، ص30.

([5]) محمد القبلي، **تاريخ المغرب تحسين وتركيب**، الطبعة الأولى، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م، ص528.

([6]) أمين الريحاني، **المغرب الأقصى رحلة في منطقة الحماية الإسبانية**، دار المعارف، مصر، 1952م، ص 367.

الجنود المغاربة على القوانين التنظيمية الجديدة التي فرضت عليهم من طرف مدربين فرنسيين(*) قدموا إلى فاس، وتصرفاتهم الغير لائقة معهم، حتى ذهب بهم الأمر إلى حد ضربهم واجبارهم على حمل متاع كان ينظر إليه هؤلاء كـ"بردعة". هذا بالإضافة إلى شح المؤن اليومية، و ردا على هذه المعاملات، رفض الجنود المغاربة استلام الأجور اليومية والمقدرة بستة(06) ملايين والتي غذت قليلة بعد اقتطاع ما يقارب الثلثين(3/2) من قيمتها، وسار الجنود يرددون ما يلي:(**إننا لا نريد مونتك، يا ولد النصراني يا ولد النصراني**)، وتعالت أصواتهم أيضا بـ:(**لا إله إلا الله محمد رسول، الله أكبر، الله أكبر**)، وأخذوا يهاجمون الضباط الفرنسيين الذين حاولوا اعتراضهم، وسارعوا بالأسلحة خارج القصبة، وبالتالي اختلط هذا التمرد والعصيان العسكري بالانتفاضة الشعبية(1) ، وفي وصفا آخر لهذه الانتفاضة، هنا وصفها **فرديك وايسجرير** بالعصيان- التمرد- الفتنة، وفي كتابه **على عتبة المغرب الحديث**، وكان عنوان كتابه الأصلي""Au Seuil du Maroc moderne، والذي نشره في عام1949م، في فصله العشرون والذي عنونه بـ"**مذابح فاس**"بقوله:(**في الحادية عشرة من صباح، يوم17أفريل، تمرد طابوران من المشاة وطابوران من الخيالة كانا بإحدى الثكنات في قصبة الشراردة لعدم توصل أفرادهما بأجورهم، فأنحوا بالسب على مدربيهم وأطلقوا العيارات النارية في الهواء. ثم توجهوا إلى دار المخزن لعرض تظلماتهم على السلطان فردهم على أعقابهم دون طائل... وكان القائد بريمون والسيد رينيي تلقيا الأمر بالتوجه إلى قصبة الشراردة لمحاولة تهدئة المتمردين، لكن بعد فوات الأوان؛ فقد انتشرت الطوابير المتمردة في أنحاء المدينة تقتل ضباطها**(2) ، وعليه، أدت الظروف التي عانى منها الجنود المغاربة إلى إعلان الجهاد و الثورة منظمين إليهم كافة السكان، حيث شرعوا في قتل الضباط وكل من وجدوه من الفرنسيين(3).

وقد سادت الفوضى في احياء فاس منها: (حي الدّوحْ (*)- وحي الملاح-وحي دار دبيبغ- حي ظهر المهراز.... وما جاورها خلال أيام17و18و19 من شهر أفريل، وكان صوت الرصاص يسمع ليل نهار حيث

(*) **مدربين فرنسيين:** يرجع تواجد الجنود الفرنسيين في المغرب الاقصى بعد استعانة جيش مولاي الحسن بهم في القضاء على تمرد قبيلة غياثة سنة1875م، ومع مرور السنوات، تزايد نفوذ هؤلاء المدربين مما أدى إلى توسيع نفوذ فرنسا بالمغرب الاقصى. للمزيد ينظر: بهيجة سيمو، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912م**، المطبعة الملكية، الرباط، 2000، ص ص419-420.

(1) بهيجة سيمو ، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912م**، المطبعة الملكية، الرباط، 2000، ص ص474-475.

(2) فرديك وايسجرير، **على عتبة المغرب الحديث**، ترجمة، عبدالرحيم حزل، مطبعة الأمينة، الرباط،2010، ص247.

(3) علال الخديمي، **الحركة الحفيظية أو المغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية 1894-1912**، الطبعة الأولى ،دار أبي قراق، الرباط، 2009م، ص 546.

(*)**حي الدّوحْ**: وهو الحي الذي كان يأوي أغلب الأوربيين من سفارات وقنصليات فرنسية وبريطانية و إسبانية، كما كان يضم المستشفى العسكري، ومركز قيادة الجنرال بْرُولارْ. للمزيد ينظر: بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص477.

اتسعت الثورة وانتشر الجنود الثائرين بين القبائل خارج فاس، وقامت معارك حامية من حول باب فتوح استعمل فيها الفرنسيون سلاح المدفعية لاقتحام المدينة والقبائل المجاورة لها وتم قصفها. وفي مساء يوم19أفريل وصلت كتيبة من مكناس، وفي اليوم الموالي هدأت الأمور نسبيا بعد ستين(60)ساعة من الصخب والجلبة...، بعد تفرغ معظم العساكر المتمردين...وبعد تدخل بعض الشرفاء والعلماء والاعيان لإعادة النظام وتنظيم دفاع الأحياء[1] .

ولم تتمكن القوات الفرنسية من اعادة الهدوء لمدينة فاس إلا في يوم22أفريل، وهذا بعد وصول الامدادات العسكرية بقيادة الجنرال موانيي من مكانس تخوفا من أن تتخذ من الانتفاضة بعدا وطنيا[2]. وأُعلنت حالة الحصار، وتجريد الجنود المتمردين من السلاح، إذ تم جمع ما يفوق13ألف بندقية و2000سيف وخنجر[3] واعادت فتح جميع المنافذ بعد توزع القوات الفرنسية في احياء المدينة، ومعسكرات دار دبيبغ وظهر المهراز[4] .

وانتقاما لما حدث في فاس، طبقت فرنسا جميع أنواع العقوبات على مختلف فئات السكان المغاربة كما أنها قامت بتكسير منارات الجوامع وهدم أسوار المنازل كل ذلك لم يثن الثائرين الشرفاء عن متابعة مقاومتهم للاستعمار[5]، و زد على ذلك قامت بتكوين مجالس عسكرية لإصدار أحكام قضائية ضد المغاربة وفرضت عليهم غرامات مالية باهضة، بالإضافة إلى هلاك أكثر من 1000 قتيل من الجنود الثائرين وسكان القبائل[6]. وفي يوم الجمعة الذي بعد26أفريل أمر السلطان أن تقرأ في خطبة المساجد رسالة استنكر فيها المذابح التي شهدتها فاس ودعا الأهالي إلى التزام الهدوء[7] ، و**نص الرسالة هي ملحقة بالبحث في الملحق رقم02**.

وكانت حصيلة هذه الأيام بحسب **فرديك وايسجرير**09قتلى مدنيين منهم امرأتان، وجريحين، وبلغ عدد الضباط الذين قتلوا 19ضابطا وضابط صف، وبلغت الخسائر في صفوف الرماة35قتيلا بينهم ضابطان، و70جريحا بينهم5ضباط، أي ما مجموعه63قتيلا و72جريحا، وأما الخسائر التي وقعت في ساكنة الملاح" حي يسكنه اليهود" فقد بلغت51قتيلا و40جريحا. وهنا نلاحظ أن **فرديك وايسجرير** لم يذكر خسائر المغاربة واكتفى بقوله:(**ومن المتعذر علينا أن نذكر ولو بصورة مؤقتة ما وقع من خسائر في الطوابير**

([1]) فرديك وايسجرير، المصدر السابق، ص ص(249-253).

([2]) محمد القبلي، المرجع السابق، ص530

([3]) بهيجة سيمو، المرجع السابق، ص483.

([4]) فرديك وايسجرير، المصدر السابق، ص256.

([5]) علال الفاسي، الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية، المصدر السابق، ص26.

([6]) محمد القبلي، المرجع السابق، ص531.

([7]) فرديك وايسجرير، المصدر السابق، ص256.

المتمردة وفي الساكنة المسلمة([1]) . وكأن القتل كان من طرف واحد، وبهذا فشلت الانتفاضة الشعبية بفاس التي قام بها الجنود المغاربة.

وسجلنا خلال قرأتنا لمختلف المصادر والمراجع، أن أحداث فاس انطلقت بعفوية من دون تخطيط مسبق أو قيادة عسكرية معروفة وما هي إلا انتفاضة جنود قصبة الشراردة، فهي ثورة بلا رأس ولم تدخل مرحلة العمل المنظم إلا حينما تجاوزت إطارها الحضري-مدينة فاس- وما إن برحت مركزها الحضري لتشمل المحيط القبلي دخلت منعطفاً جديداً خضع فيه مسارها للتوجيه والتخطيط شأنها في ذلك شأن أي ثورة عرفها التاريخ الإنساني في انتقالها من التأثير والدعاية إلى تنظيم العمل المباشر والمنظم وجاء هذا الأخير من خلال التعبئة التي عرفتها القبائل المتناثرة جغرافيا الواحدة تلو الأخرى، فقد انتفضت قبائل آيت يوسي، وآيت شغروشن، وقبائل بني أمطير... وغيرها من القبائل([2]). وهناك الكثير من الكتابات ترى أن **ثورة فاس** هي **ثورة أحمد الحجامي**.

3- ثورة مولاي أحمد الحجامي: بعد أحداث فاس أو الأيام الدامية في فاس، تمت محاصرة العاصمة بـ20 ألف جندي من القبائل المجاورة لها بقيادة الزعيم الحجامي، وسرت الثورة في سائر الشمال والجنوب والأطلس المتوسط([3])، مما دفع بالسلطات الفرنسية إلى تعين الجنرال ليوطي(ليوتي) الأكثر حنكة وخبرة ودراية بشؤون الحرب وعينته مقيما عاما للمغرب وقائدا أعلى لجيش الاحتلال الفرنسي في المغرب كله([4])، وقد دعمته السلطات الاستعمارية بـ65ألف جندي في سنة1912(*)م([5]).

ومنذ وصول الجنرال ليوطي إلى فاس في13ماي، اشتد لهيب الثورة وباتت المدينة تعج بالأحداث الخطيرة وحاصرتها القبائل الثائرة(**) وكانت الفرق الفرنسية تنهزم أمامها الواحدة تلو الأخرى، إلا أن فرقة المدفعية

([1]) فرديك وايسجرير، المصدر السابق، ص256.

([2]) عبدالسلام بوطافي، " **تشريح الثورة الوطنية: ثورة الحجامي، ثورة أحمد الهيبة**"، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة، العدد50، ديسمبر2020، ص180.

([3]) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص119.

([4]) عبد الحميد المرنيسي، المرجع السابق، ص ص13-14.

(*) **تجدر الإشارة إلى**، أن السلطات الاستعمارية الفرنسية كانت قد دعمت الجنرال لوطي من أجل القضاء على العصيان والتمرد في فاس وغيرها بعداد كبيرة من الجيش 70ألفاً في سنة1913، و63ألفاً سنة1914م، بالإضافة إلى مصاريف كثيرة وقروض كثيرة جعلت البرلمان الفرنسي ينتقد الحكومة الفرنسية آنذاك. أنظر: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص119.

([5]) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص119.

(**) **القبائل الثائرة:** ومنها: بني يزناسن، وقبائل عجرود، والأنجاد، والمهاية، والشع وبني بوزكو، وبني وزين، والقنادسة، وبودنيب، وكولمب بشار...الخ. للمزيد ينظر: علال الفاسي، الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية، المصدر السابق، ص27.

الفرنسية احدثت الفارق في القوة إذ استطاعت في الأخير قلب موازين القوة لصالح فرنسا، وبذلك فك الحصار عن المدينة وذلك في أواخر ماي سنة 1912م[1].

ولإحكام السيطرة على فاس، قام ليوطي بتوكيل الجنرال غورو الذي تسلم قيادة المنطقة السياسية والعسكرية، وكانت مهمته تنفيذ عمليات عسكرية على فاس بهدف إخضاعها كليا، حيث قام هذا الأخير بقيادة قوة متحركة والبحث عن التجمعات الثائرة وتشتيتها، كما زود بمصلحة سياسة تضم عدد من ضباط الاستخبارات[2]. وفقا لهذا البرنامج استطاع الجنرال غورو أن يهزم جيش الحجامي بالحجرة الكحْلا أو بالكحلة على بعد15كلم من فاس، وذلك في1جوان 1912م وبذلك أبعد الخطر عن فاس[3]، وقد استمر أحمد الحجامي في قتاله سنة كاملة استطاع الفرنسيون بعدها أن يوطدوا أركان حكمهم في فاس بينما اعتصم المجاهدون بالقبائل المجاورة واعتقل الزعيم الحجامي[4].

وهكذا، تجاوزت الثورة الوطنية الشعبية المغربية بالجنوب طور الدعاية والتأثير، والتي تمثلت في أحداث فاس لتدخل طور التنظيم والعمل المباشر، ويتجلى هذا بداية من ثورة أحمد الهيبة[5]، الذي قاد مقاومة قبائل سوس والصحراء ضد الاستعمار الفرنسي مباشرة بعد توقيع معاهدة الحماية[6].

4– ثورة أحمد الهيبة(1912–1919)م: بعد وفاة الشيخ محمد ماء العينين[*]، فإن نار المقاومة لم تنطفئ؛ فقد بقيت شعلتها ملتهبة في قلوب مجاهدي القبائل الصحراوية الذين وجدوا في ابنه الشيخ أحمد الهيبة خليفة

---

(1) عبد المجيد بن جلون، **هذه مراكش**، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة، 194م، ص74.

(2) جمال قنان، المقاومة **ضد الاحتلال الفرنسي من احتلال فاس إلى معركة الحري 1911–1914م**، منشورات وزارة المجاهدين،2009، ص92.

(3) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص119.

(4) علال الفاسي، الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية، المصدر السابق، ص26.

(5) عبدالسلام بوطافي، " **تشريح الثورة الوطنية: ثورة الحجامي، ثورة أحمد الهيبة**"، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة، العدد50، ديسمبر2020، ص180.

(6) الحسن الباز، **مقاومة الشيخ أحمد الهيبة للاستعمار الفرنسي**، في اعمال الندوة العلمية الوطنية، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904–1955م– الجذور والتجليات–**، المنعقدة أيام13–14–15نوفمبر1991م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م، ص400 .

(*) **الشييخ محمد ماء العينين**: هو محمد مصطفى ماء العينين بن محمد بن فاضل بن مامينا نسبة إلى قبيلة القلاقمة العربية المتواجدة في الشرق الموريتاني بمدينة النعرمة، ولد في الحوض بالقبلة جنوبي موريتانيا يوم 27 شعبان 1246هـ الموافق لـ 08 فبراير 1831م. وهو عالم، فقيه، محدث، أديب، متصوف.

وقد حج سنة 1274هـ(1859م)، وهو الذي بنى مدينة السمارة في الصحراء الغربية، بإعانة من ملك المغرب موالي عبد العزيز سنة 1316هـ(1901م)، ولما أرد الفرنسيون دخول ببلاد شنقيط أرسل إلى القبائل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم، وخاض حروب شرسة ضد الاستعمار توفي ببلدية تيزنيت بجنوب المغرب الأقصى عام1910م.أنظر للمزيد: ماء العينين ابن العتيق، **الرحلة المعينية 1938**، تحقيق، محمد

له لضمان مواصلة المشروع الجهادي والرباطي الذي شرعت فيه زاوية "السمارة" منذ تأسيسها من طرف ماء العينين سنة1898م، فعلى إثر وفاة والده قام أحمد الهيبة بالإشراف على هذه الزاوية بتوجيه مريديها بما كان ينادي به مؤسسها الشيخ محمد ماء العينين من تصوف و جهاد ضد الغزو الأجنبي. وقد التف سكان الصحراء حول ابنه أحمد الهيبة، وقدموا له كل الولاء و الحماية له فقد استطاع ملء الفراغ القيادي الذي أحدثته وفاة والده، وتزامن هذا مع ما كان المغرب يعرفه من ظروف متسارعة سارت به نحو تجسيد الحماية الفرنسية في مارس1912م[1].

أ– أحمد الهيبة مولده وسيرته: ولد الشيخ أحمد الهيبة في 20سبتمبر1877م بضواحي مدينة "أطار" بمنطقة الحوض الموريتاني حيث كان والده يحرض القبائل الصحراوية على محاربة الغزو الأجنبي. وقد تربى تحت إشراف والده الذي اصطفاه من بين إخوته لذكائه وسرعة بديهته؛ فدرس عند العديد من العلماء وشيوخ الزوايا مثل الحضرمي وكان يرافق والده الشيخ محمد ماء العينين في زيارة العديد من المدن المغربية خاصة مراكش وفاس، وقد التقى بالعديد من مشاهير العلماء وتحدث معهم في أمور الدين وشؤون السياسة، حيث تشبع بالصوفية الجهادية التي مارسها عن كثب واستعملها لمقاومة الاحتلال الفرنسي. وقد كان له الكثير من المؤلفات في التصوف والشعر والحديث والطب.

وكان الذراع الأيمن لوالده أثناء المقاومة فشارك معه في العديد من المعارك في الأقاليم الجنوبية المتاخمة لمالي والسنغال.كما كان مبعوثا له لمدينة فاس بغرض الحصول من السلطان السلاح والدعم لمواجهة الغزو الإسباني والفرنسي للصحراء. وقد ظهر مباشرة بعد وفاة والده كخليفة له في العلم والمقاومة في زاوية

الظريف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م، ص4. **وأيضا:** محمد سعيد القشاط، **اعلام من الصحراء**، الطبعة الأولى، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع،1997م، ص144.

وتجدر الاشارة إلى جهاد ماء العينين وتوحيده لصفوف مختلف القبائل الصحراوية من أجل الوقوف في وجه الاستعمار الأوربي، منذ أواخر القرن19م شرعت فرنسا في مساعيها للاستيلاء على المغرب الاقصى من الصحراء حيث شنت هذه الأخيرة بتحالف مع إسبانيا من أجل استعمار المغرب الاقصى وتجزئة ترابه، وهنا يسجل التاريخ، تصدي ببطولة الصحراويين على رأسهم الشيخ ماء العينين بعد كسبه لثقة أغلب القبائل الصحراوية. تقدم بنداء إلى سكان موريتانيا وكافة مشايخ الطرق الصوفية لخوض الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي.

وكان في جهاده دائما يعمل بالتنسيق مع السلطة المركزية المغربية(مولاي محمد بن عبد الرحمن، والمولى عبد العزيز ابن عمه المولى إدريس بن عبد الرحمان، وحتى مولاي عبد الحفيظ من بعده) لتصدي للاستعمار الاوربي. نذكر منها: دعوته لقبائل سوس وتكنة و الصحراء إلى تزنيت في فيفري 1910م، لتوحيد صفوفهم، وحثهم على ضرورة التوجه لفاس لفك الحصار المضروب عليها، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل إذ تمكن الجنرال موانيي من هزم أتباع الشيخ في قصبة أولاد زيدان، فاضطر هذا الأخير للعودة إلى تزنيت وحاول اعادة تنظيم صفوف القبائل لكن المنية وافته في شهر أكتوبر 1910م فخلفه ابنه أحمد الهيبة . للمزيد ينظر: عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص232.

([1]) محمد حواس، **الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية مقاربة في المضامين1930–1951م**، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، تلمساني بن يوسف، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر–2– أبو القاسم سعد الله ،الجزائر،2016–2017، ص71.

"السمارة"، ثم نقل كل مركز حركته إلى مدينة "تيزنيت" ثم جعل من مدينة مراكش عاصمة لمقاومته، وكان مصمما على بعث الجهاد ضد فرنسا[1].

ب- دعوته وجهاده: بعد الهزيمة التي تلقتها المقاومة بقيادة الشييخ ماء العينين المتوفي سنة1910م على يد قوات أوبير، واصل الجهاد أبنه أحمد الهيبة، وقد أستغل هذا الأخير الشائعات والاخبار الرائجة عن أحداث فاس لإعادة الهيبة لحركة والده المنطفئة؛ فأشاع خبر وفاة السلطان المولى عبدالحفيظ، ومنع إقامة صلاة الجمعة باسمه بالمسجد الأعظم بتزنيت، وقائد الجهاد، وبعد أسبوع دخل مسجد تزنيت متخذا جميع شارات السلطنة الشريفية "المظل الإمبراطوري والعرش المرصع بالذهب"[2]. وقد نادى أحد الدعاة و هو أبو الباكور من عند نفسه جهارا بأن أحمد الهيبة " أمير المؤمنين " كما أعلن بذلك المقربون إليه من الناس وتم ذلك و نودي في صلاة الجمعة بالأمير الجديد بتزنيت[3].

وبعد انتهاء أحمد الهيبة من الطور الأول من حركته والمتميزة بالداعية وحشد الأنصار والحلفاء من خلالها انضمت العديد من القبائل نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قبائل آيت باعمران، وقبائل الأخصاص وقبائل إفران، ومجاط، وولتيتة، وجبال جزولة، وأقا و أزغار...، هذا بالإضافة، إلى انضمام أصحاب الزوايا وخاصة الزاوية الدرقاوية[4]، ولاسيما الزاوية العيساوية، والزاوية الحمدوشية. وقد تمكن من تحقيق العديد من النجاحات، فقد دان له بلاد السوس ما عدا أولاد احماد أموسى، وأتباع سيدي أحمد بناصر، والتحق به أتباع كثر من وادي نون، ومن درعة، وحتى من الصحراء تخوم موريتانيا، واحتلت قواته أكادير وتارودانت، وعزم على اجتياح الحوز[5] .

وللمضي في حركته الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي، عين الهيبة عدد من القادة على القبائل ومنهم: القائد المدني على قبائل الأخصاص، وأحمد بن الطالب على قبائل آيت عبلا، والقائد حميد وسمى" كبير المحلة"، والشيخ النعمة علي تزنيت، وعمه علي بن الشيخ ماء العينين على تادلة. وكما عين عددا من القضاة ومنهم الفقهاء: علي بن عبدالله الالغي، والحبيب السكرادي والعربي الادوزي، والحسن بن عبدالرحمان الاكراري، والحسن العنياني، ومحمد أوعمو، وعلى رئاستهم الفقيه المحفوظ الأدوزي. وكما عين عدد من الرؤساء والقادة

([1]) محمد حواس، المرجع السابق، ص71.

([2]) عبدالسلام بوطافي، المرجع السابق، ص181.

([3]) محمد المختار السوسي، **المعسول**، عشرون جزءا، الجزء الرابع ،مطبعة فضالة، المغرب، 1960م، ص ص 105-106.

([4]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص ص401-402.

([5]) فرديك وايسجرير، المصدر السابق، ص283.

منهم: محمد بن عبدالرحمان رئيس قبيلة كسيمة، والقائد أحمد سالم بن دحمان الأكلميمي، و رؤساء رأس الوادي مثل الحسن التيوتي والقائد العربي الضرضوري[1].

بعد عقد العديد من– المؤتمرات– كان أولها في5ماي1912م– كما جاء في كتاب المعسول للمؤرخ المختار السوسي–، وتقرر في مؤتمر آخر المنعقد بتاريخ 5جوان1912م بـ"تزنيت" برئاسة الهيبة الزحف احتلال مراكش كنقطة انطلاق لجهاده ضد المستعمر[2]، واتخاذها مقرا لسلطته فخرج على رأس مسيرة ضخمة، حرص الجميع على أن لا تفوته فرصة المشاركة فيها من علماء ورجال دين، وكان موكبه يتضخم باستمرار من مرحلة لأخرى، وفي خضم ذلك نسيت القبائل خصوماتها بعد أن التأم شملها بفضل ايمانها بالهيبة[3]، إذ سارعت مختلف الوفود والحشود من مختلف الطبقات من علماء وأدباء وفقهاء وعامة الناس لمباركة هذه المسيرة. وقد انتشر الخبر في الجنوب في قبيلة سوس وتافيلالت ودرعة، وانتقل الكثير من أفراد هؤلاء إلى مدينة تيزنيت للانضمام إلى مسيرة الهيبة لتحرير البلاد من المستعمر الكافر. وقد كانت مسيرته بحد ذاتها جزءا من مقاومته؛ فقد كان الشيخ أحمد الهيبة أثناء الزحف يستنهض القبائل الجنوبية للنهوض ضد التدخل الأجنبي الذي أصبح أمرا احتلالا للمغرب منذ 30مارس1912م[4]، وقد قال صاحب المعسول محمد المختار السوسي عن تلك المسيرة في والتي عنونها المؤرخ المختار السوسي في طريقه إلى الحمراء– مراكش– بأن:"...**الناس ساروا في فرح و بهجة عظيمين. وقد انتشوا بنشوتين نشوة الدفاع عن الوطن ونشوة الملك الجديد– الشيخ الهيبة – الذي في أيديهم. فقد تراءى لهم العالم كأنه في اكفهم مطويا...ولذلك سار الناس في أمن وطمأنينة ونظام في الحملة.... ... ، فقد كانت تلك الأيام كأنها أيام نزهة من كثرة الخير والأمان والاماني المعسولة التي يتذوقها الناس**"[5]. وقد دخوله مراكش تمكن الهيبة من تحقيق العديد من المكاسب لحركته فقد أقام خمسة عشر(15) منزلة في طريقه وفي كل منزلة كان يتم استقباله كأمير مؤمنين[6].

وقد تمكن من دخولها دون مقاومة يوم السبت3رمضان1330م الموافق لـ14أوت1912م، وهنا يعطينا المؤرخ السوسي وصفا عند دخول الهيبة مراكش:" **أن السلطان المنصور بالله– الشيخ الهيبة – دخل مراكش يوم السبت3رمضان من غير دفاع بعد أن خرج من بها من العسكر والكبراء للقتال... فألقى الله الفشل**

([1]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص401 . وأيضا: محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ج4، ص ص(105–124).

([2]) محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ج4، ص106.

([3]) جرمان عياش، **أصول حرب الريف**، ترجمة، محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز التمسماني خلوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، بدون تاريخ، ص55.

([4]) محمد حواس، المرجع السابق، ص71.

([5]) محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ج4، ص126.

([6]) محمد حواس، المرجع السابق، ص74.

في قلوبهم؛ فاختلفت كلمتهم وخذلهم الله...، وفرح أهل المدينة فرحا... فاستقر به القرار، واطمأنت الدار، وذل انصار الكفار..."[1].

وعلى أبواب المدينة قدم إليه القواد الكبار للمخزن بما فيه أبناء السلطان مولاي الحسن الأول وقدموا له البيعة، وقدموا له مفاتيحها و فتحوا له قصورها و قصبتها. وأغرقوه في الهدايا الثمينة[2]. ومن الأعمال التي قام بها أحمد الهيبة بعد دخوله مراكش احتلاله بعض المباني المخزنية، وأسر بعض الفرنسيين ومنهم القنصل الفرنسي، والاستيلاء على بعض مستودعات التموين من مخازن القمح والعتاد[3].

ولما دخل الهيبة مراكش وبويع فيها رسميا بالمسجد الأعظم، فقام باحتلال القصبة وسيطر على مخازن القمح والعتاد، ومواقع الأبراج، وعين رؤساء الجيش من القواد السوسيين والصحراويين، وقام باعتقال قنصل فرنسا ميكري " Maigret "، وستة(06) من مساعديه وبعد إنجاز هذه الأعمال بدأ يتهيأ لمواجهة الجيوش الفرنسية[4].

ولقد كان لدخول الشيخ أحمد الهيبة إلى مراكش واستقرار موكبه فيها صدى كبير في الداخل والخارج؛ فقد استبشر المغاربة بذلك واعتبروه رجلا بمهمتين **الأولى** لمقاومة الاحتلال الفرنسي، **والثانية** لتعويض الفراغ القيادي الذي أحدثه خضوع سلطة الأشراف العلويين للحماية الفرنسية، فقد تحول سلطانهم الجديد مولاي يوسف إلى مجرد دمية في أيدي الجنرال ليوتي"ليوطي"، ولذلك صرح هذا الأخير أن الحملة الفرنسة على المغرب أصبحت تعرف تذبذبا وتراجعا بعد التطورات التي حدثت في الجنوب، وكتب في مذكراته أن:" **المدعو أحمد الهيبة أصبح خطرا داهما بعد سيطرته على مراكش و إعلان مسيرته نحو إقليم الشاوية بدعم معلن من ألمانيا...وكان يجب على القوات المعسكرة في الضفة الشمالية لنهر أم الربية أن تتقدم لتوقيف هذا الزحف بالرغم من قلة عددها**"[5]. والوحيدون الذين أبدوا موقفا عدائيا واضحاء إزاء الثورة فكانوا كبار تجار الدار البيضاء باقتراحهم قطع الطرق على محلة مربيه ربه المعسكرة بالرحامنة بواسطة غارة خاطفة لخيالة عبدة انطلاقا من آسفي، تحت قيادة عيسى بن عمر[6].

([1]) محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ج4، ص143.

([2]) محمد حواس، المرجع السابق، ص74.

([3]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص403-404 .

([4]) عمر أفا، **مقاومة الشيخ أحمد الهيبة 1912–1919م في موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة و جيش التحرير بالمغرب**، الجزء الأول، المجلد الأول، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، 2005م، ص 123.

([5]) محمد حواس، المرجع السابق، ص74.

([6]) عبدالسلام بوطافي، المرجع السابق، ص182.

وفي خضم هذه التطورات بدأ الجيش الفرنسي بالتحرك للهجوم على مراكش لوضع حد لانتصارات الشيخ أحمد الهيبة، عين"ليوتي" العقيد "مانجان"Mangin" قائدا على حملة مراكش، وتمكن هذا الأخير من احتواء القواد الكبار المناوئين لحركة الهيبة أمثال: القائد عبد السلام البربوشي والقائد ابن الطاهر، والقائد العيادي وغيرهم[1]. وقد قام العقيد مانجان بكل الاستعدادات العسكرية للقضاء على الحركة الهيبية وإلحاق مراكش بالحماية الفرنسية كما حدث لكبرى الحواضر المغربية مثل: فاس والرباط، والدار البيضاء[2]. وقد ألتقى جيش الهيبة مع الجيش الفرنسي في معركتين هما: **معركة أربعاء الصخور**، و**معركة سيدي عثمان**[3].

– معركة أربعاء الصخور"أربعاء الصخر" في29أوت1912م: انطلقت حملة العقيد مانجان يوم15أوت صوب مراكش[4]، ولمواجهة الحملة وتوقيفها أرسل الهيبة حملة بقيادة ابن عمه الأغصف ولد مصباح قواهما أثني عشر مائة(1200)فارسا[*]، إلا أن هذا الأخير أنهزم إمام الجيش الفرنسي بالنظر لتفوق المادي للطرف الفرنسي. وكان من المشاركين في هذا الجيش القائد الناجم، وقد قُتل كثير من المقاومين وفر الباقون[5].

– معركة سيدي عثمان في سبتمبر1912م: بعد هزيمة أربعاء الصخور، توجهت حملة أخرى لملاقاة الجيش الفرنسي في البحيرة بين بنكرير وسيدي بوعثمان، وكان من المشاركين فيها كل القواد، ومنهم: العربي الضرضوري، والقائد نصر بن التومي، والقائد علي بن منصور، والقائد أحمد بن مالك، وكانت بقيادة القائد حيدة[6]، إلا أن جيش الأخير انهزم بصورة سريعة ولم يستطع الصمود أمام القصف المدفعي المكثف الذي اعتمدته القوات الفرنسية[7]، وكانت هذه الأخيرة بقيادة مانجان بتعداد أربع مئة(400) جندي[8]، وقد وصف صاحب المعسول تلك المعركة بأن: "**جيش الهيبة لم يقف يوما كاملا يعذرون فيه، بل انهار جدارهم بسرعة**

([1]) عمر أفا، مقاومة الشيخ أحمد الهيبة 1912–1919م في موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، المرجع السابق، ص124.

([2]) محمد حواس، المرجع السابق، ص75.

([3]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص404.

([4]) محمد حواس، المرجع السابق، ص75.

([*]) **ما يجب الإشارة إليه هنا**، يقول **فرديك وايسجرير**، في كتابه **على عتبة المغرب الحديث**، ص300 :" أن جيش الهيبة لما وصل إلى أربعاء الصخور كان جيشه بتعداد خمسة(05)آلاف جنيدي، و12مدفعا، و08رشاشات".

([5]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص404.

([6]) نفسه.

([7]) محمد حواس، المرجع السابق، ص ص76–77.

([8]) عبدالسلام بوطافي، المرجع السابق، ص182.

غريبة فتسابقوا في العودة إلى الحمراء، فانقضى الأمر فطار الخبر إلى الأعراب فصعقوا صعقة عظيمة هي أول من نبهتهم مما هم فيه سائرون"[1].

وبعد وصول خبر انهزام جيش القائد حيدة في معركة سيدي عثمان إلى أحمد الهيبة، جمع الأخير موكبا بسرعة وبدون أي نظام، وغادر مدينة مراكش ليلا متجها إلى بلاد سوس، و في8 سبتمبر1912م احتل العقيد "مانجان "المدينة، وأعاد تنصيب المخزن بزعامة الكلاوي(*) في مكانه، وأعلنت رسميا بيعة السلطان يوسف في عاصمة الجنوب[2]. وهنا يعطينا صاحب المعسول محمد المختار السوسي بعض التفسيرات لهزيمة الهيبة في معاركه ضد المستعمر الفرنسي وانسحابه من مراكش، ومنها: إغفال القوة رغم حرارة الإيمان عند مجاهدي الهيبة، وهذا بالإضافة إلى عدم وضوح الهدف والخطة عندهم. وهنا أيضا يُرجع **الباحث الحسن الباز** عوامل هزيمة الهيبة في مقال له بعنوان: **"مقاومة الشيخ أحمد الهيبة للاستعمار الفرنسي"**، في أعمال الندوة العلمية الوطنية الموسومة بـ" **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م- الجذور والتجليات-**، إلى[3]:

- رغبة السلطات الاستعمارية مد نفوذها في المغرب، ونجاها في كسب كثير من الأعوان والعملاء الذين ساعدوها في تحقيق مخططها الاستعماري وسياستها في إخضاع المغرب الأقصى.
- تصرفات بعض المقاومين في مراكش، ويتجلى هذا في أعمال النهب، وبالتالي انشغالهم بالمكاسب المادية مبتعدين عن الأهداف الحقيقة لحركة المقاومة.
- استبداد الحجاب المقربين من الهيبة مما أدى إلى استياء بعض المشاركين في الحملة و رجوعهم إلى مواطنهم.
- الاصطدام بالجو الحضري.

وبهذا انتهت بذلك أسطورة "سلطان الجهاد" الشيخ أحمد الهيبة الذي اتجه جنوبا نحو العديد من المدن مثل "تاوردانت"و"تاماشت"، حيث كان في كل مرة يسعى لمواصلة مقاومته إلا أن ذلك لم ينجح وكان يضطر للانتقال من واحة إلى أخرى بسبب ما قامت به فرنسا من تحويل العديد من القبائل إلى أعداء لدودين له فتارة

([1]) محمد حواس، المرجع السابق، ص ص76-77.

(*) **تجدر الاشارة**، أن **الكلاوي** ، وغيره أمثال **الكنافي**، **والمتوكي**، **والعيادي**، كانوا من كبار القادة في الجنوب المغربي، وقد انحاشوا أول الأمر إلى حركة أحمد الهيبة وناصروه مسايرة لحماس القبائل، وقد ارتدوا عن مواقفهم الأولى وانحازوا إلى الإدارة الاستعمارية الفرنسية، حفاظا على امتيازاتهم. ينظر للمزيد: محمد القبلي، المرجع السابق، ص533.

([2]) محمد حواس، المرجع السابق، ص76.

([3]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص ص404-405.

بإثارة النعرات القبلية، وتارة آخر بشراء ذمم البعض منها؛ وقد كان ذلك مساعدا كثيرا لفرنسا التي وجهت كل اهتماماتها لموازين القوى العالمية بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى[1].

ولم يتردد المقيم العام الفرنسي ليوتي في الاتصال بالشيخ أحمد الهيبة عن طريق أحد شيوخ الزوايا وتلميذ والده الشيخ محمد ماء العينين وهو محمد بن عبد الكريم الكتاني حتى يتوقف عن إشعال فتيل المقاومة أينما حل مقابل تعيينه نائبا للسلطان على الجنوب المغربي، إلا أن ذلك لم يأتي بأية نتيجة؛ فقد رد أحمد الهيبة على الكتاني **بقوله تعالى:{وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42)}.[2]. سورة غافر: الآيات[41–42].** وبالرغم من أن الشيخ أحمد الهيبة رفض كل أشكال المساومات وبقي في تنقل مستمر من مكان إلى آخر للحفاظ على نار المقاومة التي أشعلها والده الشيخ محمد ماء العينين منذ1898م فإن ذلك لم يؤد لعودتها من جديد فقد أثرت السياسة الاستعمارية الفرنسية الجديدة[*] التي انتهجها ليوتي منذ تعيينه مقيما عاما في المغرب في أفريل1912م تأثيرا كبيرا، وقد سماها **بـ "بقعة الزيت" La Tache d' huile "**، والتي اعتمدت على توسع استعماري هادئ بإعادة الاعتبار لكبار قواد المخزن، وتعبئة أكبر عدد ممكن من شيوخ القبائل إلى جانب فرنسا بتقديم لهم مختلف الإغراءات على رأسها الحفاظ على مكاسبهم التقليدية اجتماعيا واقتصاديا، وحتى السياسية منها عوض مواجهتهم عن طريق الحملة الاستعمارية، فقد استطاعت هذه السياسة أن تجد عدد كبيرا من المؤيدين لها في الصحراء من زعماء القبائل، وحتى عدد من شيوخ الزوايا[3]. منها قبائل الرحامنة ساعدت الجيش الفرنسي في معركة سيدي عثمان، وانضمام غالب قبائل هوارة وهشتوكة وكسيمة إلى الحكومة[4].

وفي المقابل، ظل للشيخ أحمد الهيبة يتنقل بين القبائل الصحراوية بَاحِثًا عن الدعم بين ذويه، ودَاعِيًا لعدم الخضوع للكفار الصليبين والدفاع عن أرضهم، و بَاحِثًا عن أية فرصة لبعث مقاومته، و رَافِضًا لكل أشكال

([1]) محمد حواس، المرجع السابق، ص ص76-77.

([2]) نفسه.

([*])**السياسة الاستعمارية الفرنسية الجديدة:** وهي سياسة استعمارية جاء بها ليوطي تهدف إلى التهدئة، بالاستغناء عن اللجوء لاستعمال القوة كلما سمحت الظروف، والهدف منها الحفاظ على استقرار الوضع الداخلي بإقرار الأمن الكفيل بتحقيق امتيازات سياسية واجتماعية واقتصادية للمستعمر.

وقد اعتمدت هذه الاستراتيجية العسكرية **تكتيك بقعة الزيت** التي بدورها يعرفها ليوطي نفسه بأنها **إظهار القوة لعدم استعمالها**، وهي وفق هذا التعريف لا تعدو أن تكون مجرد استعراض عسكري هدفه تخويف الخضم و ردعه عن التفكير في الإقدام على المواجهة العسكرية. ينظر للمزيد: عبدالسلام بوطافي، " **الماريشال ليوطي والاستراتيجية العسكرية الفرنسية بالمغرب1912–1925م– ملف العدد**"، **مجلة ليكسوس**، العدد38، شهر، مجلة إلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية، الرباط،2021، ص ص7-8.

([3]) محمد حواس، المرجع السابق، ص ص76-77.

([4]) الحسن الباز، المرجع السابق، ص404.

التعاون مع الاستعمار الفرنسي الكافر، أو غير ذلك عندما قدمت له ألمانيا دعما عسكريا أثناء الحرب العالمية الأولى إلى أن وافته المنية في مدينة" اغبالو نكرودس" في أعماق الصحراء في17جوان1919م[1]، عن عمر الخامس والأربعين(45)سنة، بعد أن استمرت حركته سبع سنوات(07)سنوات، وأربعة(04)أشهر، والذي لاشك فيه أن لحركته هذه الفضل في تأخير احتلال الأطلس الصغير لمدة طويلة، وقد استمر أخوه مربيه ربه قائدا للمجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي بعد وفاته، إلى أن جاء الاحتلال النهائي للأطلس الصغير وهروب مربيه ربه بخيله أمام قذائف الطائرات الفرنسية، وتسلل إلى آيت باعمران، حيث يتصاعد الاسباني آنذاك[2].

وإجمالا، نقول أن أحمد الهيبة قد نجح في دعوته وجهاده وهذا راجع للعديد من العوامل منها:

- أسس أحمد الهيبة حركته على الأساس الجهادي، كأمير للجهاد، وأثارة النعرة الوطنية والروح الدينية وكراهية الاستعمار.
- حاول ملء الفراغ السياسي خاصة بعد عزل وترحيل السلطان المولى عبدالحفيظ.
- استقطاب ودعوة الفقهاء، ومشايخ الطرق الصوفية للانضمام إلى حركته منها والدرقاوية، وهذا بعد أن ورث عن أبيه ماء العينيين مشيخته الصوفية "الطريقية المالعينينية".

– تمكن الهيبة من استقطاب العديد من قبائل الجنوب المغربي وبفضلها حقق العديد من المكاسب، على الرغم من انهزامه في الكثير من معاركه منها معركة أربعاء الصخور، ومعركة سيدي بوعثمان، في أواخر شهر أوت وبداية شهر سبتمبر1912م.

– وبالرغم من الهزائم المتكررة استمرت مقاومته للاستعمار الفرنسي إلى غاية وفاته1919م، حيث خلفه أخوه مربيه ربه الذي قاد المقاومة إلى غاية سنة 1934م، والذي كان عضده الأيمن والموافق له في تنقلاته وتحركاته، وقد خاضع العديد من المعارك تحت قيادة أخوه، وثورته ضد الاستعمار الفرنسي؛ هي موضوع بحثنا في النقطة الموالية.

5– ثورة الشيخ مربيه ربه(1919–1934)م: بعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة1919م سارعت القبائل إلى اختيار أخه الشيخ مربيه ربه، لأن شروط الزعامة في تلك الظروف الصعبة متوافرة في شخصه وذلك لحضوره الفعلي في مسرح الأحداث منذ عهد والده الشيخ ماء العينين وأخيه الشيخ أحمد الهيبة في الصحراء المغربية وسوس والحوز، مما أكسبه تجربة كبيرة جعلت منه شخصية تتصف بالحنكة والدهاء السياسي والشجاعة في

(1) محمد حواس، المرجع السابق، ص ص76-77.

(2) الحسن الباز، المرجع السابق، ص407.

قيادة الجيوش المجاهدة[1]، بل كان المحرك الرئيسي لمختلف العمليات العسكرية في جيش أخيه الهيبة لما كان يتصف به من شجاعة وجرأة و إقدام[2].

أ–الشيخ مربيه ربه حياته ومسيرته: هو سيدي المصطفى، ولد يوم الأحد14الربيع الأول عام1298هـ/ الموافق لـ13فيفري1881م، بتيرس جنوب المغرب، كان مجاهدا عالما غزير التأليف، نشأ تربى على يد والده، وتلقى عنه العلم والأدب والشعر، وحضر مجالسه العلمية ومطارحاته الشعرية، كان عضًوا بارزا في حركة مقاومة الاحتلال الفرنسي، التي قادها والده، ومن بعده أخوه أحمد الهيبة، ومن ثم خليفته، قاوم الاحتلال في محاولة حصار تزنيت1913م، ثم اتجه نحو طرفاية ليواصل جهاده من هناك . وتوفي رحمه الله سنة1361هـ/1942 ودفن بقرية تافودارت التي تقع شرق مدينة العيون[3].

كان الشيخ مربيه ربه جهبذة من جهابذة الفكر والعلم والأدب فهو شاعر وكاتب وناثر، وعالم ومصنف في علوم شتى، خلف أعمالا أدبية تصل إلى مائة وعشرين(120)كتابا في الفقه والتصوف والطب والرحلات والنحو والبلاغة والتوحيد والتاريخ، للأسف ضاع بعضها ولا يزال البعض منها مخطوطا في بعض الخزانات، منها في التصوف، وأخرى في الفقه، في الطب، وفي الفلك، وفي التاريخ، نذكر على سبيل الذكر :– إغاثة اللهفان – تيجان المحامد و زينة كل حامد – جامع الحمد – خواص أسماء الله الحسنى – دعوة الفاتحة في الحمد بالفاتحة – مغناطيس النعم– واهب الزيادة الأسنى في أسماء الله الحسنى– محمد اللسان والفكر فيما يتعلق بالحمد والشكر – ربيع الأسرار في أسرار المربع– أمراض السل وعالجها**–** ترياق الأبدان في تدبير الإنسان– نفع الوبري والمدري في الكلام على الجدري. ونذكر **منها في التاريخ:** الترجمان العام – جولات في سوس أعادنا الله من كل بؤس– العسل المصفى في عدد من استشهد زمن المصطفى– وجه الحق الصحيح في أن إسماعيل هو الذبيح[4].

ب– دعوته وجهاده: يعتبر مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين أحد ابرز رموز المقاومة والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بالجنوب المغربي، كما تعتبر حركته الجهادية استمرارا لحركة أخيه الشيخ أحمد الهيبة و والده الشيخ

([1]) النعمة علي ماء العينين، و أحمد بومزكو، مداخلة بعنوان: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، يوم دراسي12جويلية1998م، تحت عنوان: "**سوس والصحراء المغربية تواصل ثقافي وحضاري**"، الطبعة الأولى1999م، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، المجلس البلدي تيزنيت، الرباط، ص53. وأيضا: محمد المختار السوسي، المصدر السابق، الجزء الرابع ، ص247.

([2]) النعمة علي ماء العينين ، أحمد بومزكو، "**الشيخ مربيه ربه العالم المجاهد**"، مجلة أمل: التاريخ – الثقافة – المجتمع، مجلة فصلية، العدد25–26 ، السنة التاسعة، سابريس للتوزيع والنشر، الدار البيضاء، 2002م، ص18.

([3]) النعمة علي ماء العينين ، أحمد بومزكو، "**الشيخ مربيه ربه العالم المجاهد**"، مجلة أمل، المرجع السابق، ص20.

([4]) نفسه، ص ص(20–22).

ماء العينين مع متغيرات جديدة جعلت حياته مليئة بالتحدي المستمر منذ عام1912م، وثورة الشيخ مربيه ربه هي أيضا ثورة لا تخرج في إطارها العام عن رد فعل شعبي ضد الاستعمار الاجنبي، حيث اضطلع بالأدوار الطلائعية في تهييئ القبائل وتوجيهها وتنشيط الحمِية الجهادية ضد المستعمر[1].

ومما لاشك فيه فإن انتماؤه الأسروي لأهل الشيخ ماء العينين، وشخصته المتميزة ومكانته العلمية تمكن من خلالها التأثر في القبائل وتنظيمها، وجعلت منه زعيما وقائدا للجهاد[2]، وهذا بعد لمل شمل القبائل وحملها على الجهاد بعد فض النزاعات بينها معتمدا في هذا على استراتيجية تنظيمية تقوم على[3]:

– **التنظيم**: العمل على مخاطبة وحث أعيان القبائل على دعم حركته ودفع التزاماتها من الحبوب والمؤونة ومنها، "الأعشار والزكوات والأموال" لضمان استمرا العمل الجهادي.

– **الاستعداد**: العمل على التأثير في القبائل وخلق حماسا متأججا لديها لمواجهة الاحتلال، وهذا بالإضافة الاعتماد وحرصه في تنقلاته على صحبة نخبة من أعيان القبائل وعلمائها أمثال القائد المدني الاخصاصي، والقائد سعيد الاكماري.... وغيرهم.

– **فض النزاعات**: حرصه في جميع تحركاته خارج كردوس على جمع شمل القبائل وحملها على التعاضد والاتحاد وتجميع إمكانياتها الخاصة تحت راية الجهاد، كما كان يحث على الاستعداد والتريث ثم المواجهة. ومن الحالات التي تدخل لفض النزاعات المحلية منها الصراع بين قبلتي مجاط والأخصاص، أو بين قبائل آيت صواب وإيلالن وآيت الرخاء. وبهذا استطاع في ظل وضعية حرجة تميزت بالفوضى والتشتت القبلي أن يحافظ على التوازن والاستقرار، ومن ثم تقوية حركته الجهادية وضمنت على الأقل استمراريتها لمدة تزيد عن عشرين(20)سنة[4].

وأمام شدة الضغط الفرنسي على المقاومين من خلال حملة الجنرال دولاموط على مناطق ويجان وإسك (في إقليم تيزنيت) سنة1917م، ومن ثم استسلام القبائل السهلية لسلطات الاستعمارية، بقيت المناطق الجبلية تتحكم فيها القبائل الموالية للشيخ مربيه ربه، ولم تكن السلطات الاستعمارية تبحث عن خضوع إسمي لهذه المناطق، وإنما كانت ترغب في الاستحواذ الفعلي عليها، وهذا ما دفعها إلى استعمال مختلف الوسائل لتحقيق

([1]) النعمة علي ماء العينين، وأحمد بومزكو، مداخلة بعنوان: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، اليوم الدراسي، المرجع السابق، ص51.

([2]) نفسه، ص53.

([3]) نفسه، ص56.

([4]) النعمة علي ماء العينين، وأحمد بومزكو، مداخلة بعنوان: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، اليوم الدراسي، المرجع السابق، ص ص (54–57).

مسعاها، بما في ذلك تكثيف العمليات العسكرية، وإنشاء مراكز عسكرية للمراقبة وتجميع المعلومات، وأمام هذه الأحداث ظل الشيخ مربيه ربه يقاوم ويجاهد ويشرف بنفسه على العمليات العسكرية ويكثف تنقلاته بين قبائل الأطلس الصغير التي دعمتها قبائل آيت خباش وآيت حمو بالرجال والعتاد إلا أن رد فعل القبائل المجاهدة عامة لم يكن موحدا وكان يفتقد إلى التنسيق والتنظيم[1]، ووسائل الاستمرار، ومن أهم محطات المواجهات وقعت بماسة وفي السيحل في سنة1913، وآيت براييم1914م، وأكلو، وأشتوكن خلال عام1915م. وبعد اشتداد الحملات العسكرية الفرنسية التي قادها الجنرال"كاترو" "Katroux"حاكم المنطقة الجنوبية، استسلمت جميع القبائل السوسية سنة1934م بعد دخول قوات الجنرال كاترو "بويز كارن" يوم4مارس1934م[2].

وفي ظل هذه الظروف الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي مما دفع بالشيخ مربيه ربه إلى مغادرة منطقة كرودس إلى منطقة طرفاية، وهنا يقول موضحا خروجه:"...**أما بعد، فقد خرجنا من كردوس... وما نهضنا حتى أحاطت بنا الجنود الفرنسوية من كل مكان بالمدافع والطيارات، واحتلوا القبائل، ولو أنهم أتونا بمثل العدة التي في أيدينا لكان ظننا أنهم لن يحصلوا على طائل...، والله غالب على أمره**"[3]، وهذا اعتراف من الشيخ مربيه ربه بالتفوق العسكري الفرنسي على قواته، وهو إِثْبَاتٌ وَدَلِيلٌ على أنه لو توازنت القوة لَوَاجَهَهَا مُثَبَّتًا لِمَبْدَئِهِ وَالْمُتَمَثِّلِ في الجهاد في سبيل الله من أجل دحر المستعمر الكافر.

توجه الشيخ مربيه ربه إلى منطقة طرفاية بالصحراء المغربية ليدخلها يوم في مارس1935م ليستقر بها، والتي كانت تحت النفوذ الإسباني، حيث اخصص له سكانها استقبالا شعبيا كبيرا، وخصص له الدولة استقبالا رسميا بقيادة الحاكم العام"خوسي غونصالو دي ليما"[4]، مواصلا جهاده ومقاومته ولكن في شكل جديد، جهاده في مجال السياسة والعلم والتأليف ومناظرة العلماء، يتماشى مع التغيرات التي شهدتها البلاد بعد نهاية العمل المسلح، وظهور العمل السياسي. وقد كان على اتصال دائم بالخليفة السلطاني مولاي الحسن بلمهدي الذي

(1) النعمة علي ماء العينين ، أحمد بومزكو، "**الشيخ مربيه ربه العالم المجاهد**"، مجلة أمل، المرجع السابق، ص19.

(2) النعمة علي ماء العينين، وأحمد بومزكو، مداخلة بعنوان: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، اليوم الدراسي، المرجع السابق، ص58.

(3) النعمة علي ماء العينين، وأحمد بومزكو، مداخلة بعنوان: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، اليوم الدراسي، المرجع السابق، ص62.

(4) نفسه، ص67.

التقى به في مدينة تطوان خلال زيارته لها وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، وبمختلف الحركة الوطنية في الشمال عبدالخالق الطريس، عبدالسلام بنونة، علال الفاسي، المكي الناصري[1].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشخصية الوطنية لم تحظ بدراسات تاريخية مستفيضة، وحتى المصادر والمراجع لا تحتوي إلا على مؤشرات قليلة ومختصرة جدا عن حركته الجهادية بالمقارنة مع ما كتب عن باقي رموز المقاومة الوطنية المغربية. غير أن السمة الإيجابية لشخصية الشيخ مربيه ربه هي حرصه على تدوين أفكاره و آراءه ونشاطه الجهادي في كتابات تعتبر مرآة صادقة عن تحركاته وانشغالاته وظروف جهاده[2].

(1) النعمة علي ماء العينين ، أحمد بومزكو، "**الشيخ مربيه ربه العالم المجاهد**"، مجلة أمل، المرجع السابق، ص ص19-20.

(2) النعمة علي ماء العينين، وأحمد بومزكو، مداخلة بعنوان: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، اليوم الدراسي، المرجع السابق، ص ص51-52.

الفصل الثاني:

المقاومة الشعبية المغربية في الاطلس المتوسط والكبير

1914-1933م

تمهيد:

1- مقاومة قبائل زيان في الاطلس المتوسط:

1-1- مقاومة موحا وحمو الزياني(1914-1921)م:

1- مولده ونشأته.

2- جهاده.

2-أ- معركة الهري13نوفمبر1914م.

2- مقاومة قبائل آيت عطا (1918-1933)م:

2-1- مقاومة التوزونيني1918م:

1- التوزونيني مولده وسيرته.

2- دعوته وجهاده.

2-أ- معركة البطحاء(كاوز).

2-2- مقاومة عسو أو بسلام (1929-1933)م.

1- عسو أو بسلام مولده ودعوته للجهاد

2- معركة بوغافر13فيفري-24مارس1933م.

تمهيد: وتزامننا مع إخضاع المستعمر الفرنسي لجبال الأطلس الكبير- المناطق الجنوبية من المغرب الأقصى-، تقرر أيضا الاستيلاء والسيطرة على الأطلس المتوسط باعتباره ممرا استراتيجيا يفصل الشمال المغربي عن جنوبه، ويفصل أيضا الغرب عن الشرق، ويهدد كذلك وجود فرنسا بالجزائر بحدودها المتاخمة. وقد شهدت هذه المناطق العديد من المقاومات الشعبية ضد المستعمر الفرنسي كان من أبرزها: مقاومة قبائل زيان بقيادة موحا وحمو الزياني(1914-1921). و مقاومة آيت عطا(1929-1933)م بقيادة المجاهد عسو أوبسلام.

1- مقاومة قبائل زيان في الاطلس المتوسط: شهدت جبال الأطلس المتوسط[*] غزوا مبكرا حتى قبل أن يوطد ليوتي- ليوطي- سيطرته على السهول الداخلية نظرا لما كانت لها من أهمية استراتيجية؛ فقد كانت بالنسبة له ضمانا للتحكم في المغرب الأقصى الذي كان ضرورة بالنسبة لفرنسا عشية الحرب العالمية الأولى، كما كان استمرارية لنجاح عملية الربط بين المغرب الشرقي والغربي؛ فالنسبة له حان الوقت لحسم الموقف الفرنسي نهائيا في الوسط وذلك بالسيطرة على حاجز يحول دون ربط منطقتي الاحتلال الفرنسية الشمالية والجنوبية[1]، عبر تادلة-خنيفرة-فاس-تازة-وجدة؛ ففتح هذا الطريق يُعد ضرورة حيوية لإتمام غزو المغرب النافع، ولأجل ضمان تزويد بالمؤن والجند واليد العاملة، واستهدافا لاستغلال السهول والهضاب الواقعة على ضفة نهر أم ربيع[2].

وعلى الرغم من أهمية هذا الإقليم إلا أن ليوتي تجنب كثيرا في الأول مواجهة القبائل التي كانت تسكن إقليم زيان[**] بالرغم أنها ساهمت في مقاومة الشاوية واشتبكت عدة مرات مع القوات الفرنسية فعندما كانت هذه الأخيرة تجوب مدينة الدار البيضاء لتهدئتها أعلن قائد الزيانيين موحا وحمو الزياني الجهاد ضد فرنسا[3]، كغيره من زعماء المقاومة الأطلسية، ومن هؤلاء أيضا: موحا وسعيد الوراوي ، وسيدي علي مهاوش...وغيرهم يعدون الفلاحين للجهاد ويتحركون على مسافات واسعة من أجل الدفاع عن بلادهم[4].

---

[*]**جبال الأطلس المتوسط:** تمتد سلسلة الأطلس المتوسط وسط القسم الشمالي من المغرب الأقصى وهي ترتبط في حدودها الجنوبية مع الأطلس الكبير وتنفصل شمالا عن الريف بممر تازة وهضبة سايس حيث يطل على مدينة فاس شمالا هذان الممران يعدان منطقتي عبور بين غرب المغرب الأقصى وشرقه.

([1]) محمد حواس، مرجع سابق، ص ص99-100. وأيضا: جمال قنان، مرجع سابق، ص ص262-263.

([2]) محمد بن لحسن ، **معركة لهري(13نوفمبر1914)م صفحات من الجهاد الوطني**، الطبعة الأولى، مطبعة آنفو، فاس،2001، ص13.

[**]**إقليم زيان:** يقع هذا الإقليم في المنطقة المحصورة بين الأطلس المتوسط ويبلغ عدد سكانه بخمسين(50) ألف نسمة ينقسمون إلى مجموعتين كانت **الأولى** تضم تحت لوائها كل من **آيت عمار المرابطين و آيت شكيكن وآيت عبد االله و آيت عبدون** .و كانت تدعى **الثانية**، وتضم: **آيت يعقوب** التي كانت تضم كل **من بوحسوسن و آيت بوعدو وآيت قروط و آيت حركات**، وهذه المجموعة هي التي كانت تشكل النواة الأولى التي تزعمها موحا وحمو الزياني الذي قاد المقاومة في الإقليم المتوسط. أنظر للمزيد: جمال قنان، مرجع سابق، ص264.

([3]) محمد حواس، مرجع سابق، ص ص99-100. وأيضا: جمال قنان، مرجع سابق، ص ص262-263.

([4]) محمد بن لحسن، **المقاومة بالأطلس المتوسط بقيادة موحا وحمو الزياني (1907-1921)م**، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، الجزء الأول ، المجلد الأول ،نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2005م، ص1.

1-1- مقاومة موحا وحمو الزياني(1914-1921)م: كان موحا وحمو" موحى وحمو" من الذين أخلصوا للدولة منذ عهد الحسن الأول(1873-1894)م، وعينه قائدا على المنطقة كما زوده بالسلاح والمقاتلين من جنده، وقد بنى موحا وحمو مدينة خنيفرة(*) وحارب لحمايتها[1]، والتي قد شرع في بناءها في عام1886م[2].

1- مولده ونشأته: هو محمد بن حمو بن عقى بن أحمد أو المدعو أمحزون بن موسى بن سعيد بن عبدالرحمن بن موسى بن لحسن بن سعيدويشو بن عبدالرحمن بن موسى بن محمد بن يعقوب، ولد حوالي1857م من والده حمو نعقا بقبيلة حركات وهي من فروع قبائل زيان الأطلسية، أما لقب موحى أوحمو فقد أطلقه عليه أبنائه وأسرته ونقله عنهم الفرنسيون، تميز الزياني بكونه أبيض مشرب بحمرة، نقي الشبيب، كريم المائدة، يتكلم العربية جيدا، يقضي معظم نهاره في الاجتماعات والتدرب على ركوب الخيل حتى صار فارسا وهو في بداية العقد الثاني من عمره، وقد شغل مهمة أمغار زيان منذ عام1877م، ثم عين سنة1886م قائدا على زيان[3].

وكان آيت حركات مستقرين نواحي قرية البرج، يعيشون من تربية المواشي والزراعة الجبلية، لكن النمو العمراني والتجاري الذي عرفته خنيفرة حوالي نهاية القرن19م، جعل دور قرية البرج يتقلص؛ هكذا قرر آيت حركات تحت قيادة أمغار م حمو نعقى (والد موحا أوحمو) الاستيلاء على خنيفرة، وهكذا انقضوا على آيت عفي وطردوهم بصفة نهائية، ومن ثم وضع الأمغار يده على تجارة المدينة وقنطرتها، الشيء الذي مكنه من بناء قصبة، والتي كانت رمزا لقوة عشيرته كما مكنته من فرض نفوذه شيئا فشيئا على بعض القبائل الزيانية[4].

وقد استغل موح وحمو الزياني هذه الوضعية حيث قام ببسط نفوذه على قبائل زيان، كما أنه تمكن من تحييد أبناء عمومته الكثيرين، والذين كانوا ينافسونه على المنصب ومن ثم بدأ بناء سلطته على قواعد صلبة بفضل حسه السياسي وقدرته على توحيد وتنظيم القبائل واقتحام المعارك ضد الخارجين على سلطته[5]. وكان موحا أو حمو الزياني قويا شجاعا، فارسا بدون منازع مصيبا في رميه[6]. وقد استطاع أن يوجه للفرنسيين ضربات قوية

خنيفرة(*): مدينة تقع شرق الدار البيضاء وتبعد عنها بنحو300كم، بدأت عمارتها في عام1880م، إلا أن القوة الاستعمارية الفرنسية خربتها في عام1914م. للمزيد ينظر: أحمد بن قاسم المنصوري، **كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر**، تحقيق: محمد بن لحسن، وتقديم: مصطفى الكتيري، الطبعة الأولى، المنشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،الرباط،2004، ص46.

([1]) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص238.

([2]) فرانسوا بيرجي، **موحى وحمو الزياني1877-1921م**، ترجمة وتعليق، محمد بوسنة، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو-برانت، فاس،1999، ص22.

([3]) جواد التباعي، "**موحى وحمو الزياني نموذج للقواد الصغار بمغرب نهاية القرن19م وبداية القرن20م**"، مجلة الذاكرة، المجدد08، العدد:01، جانفي2020م، الرباط، ص39.

([4]) محمد حواس، مرجع سابق، ص100.

([5]) نفسه.

([6]) فرانسوا بيرجي، المصدر السابق، ص ص13-14.

وأن يهدد خطوط مواصـــلاتهم بين مكناس والرباط، وبين فاس ومراكش، وكان يتخذ من مدينة خنيفرة مركزاً لعملياته، وظل يجاهد في ســهول المدينة، وفي ضــفاف نهر أم الربيع، بعد أن وجه إليه الفرنســيون الحملة تلو الأخرى فكان يهزمها[1]، ولم يتم طرد الزياني وأتباعه من خنيفرة إلا بعد أن زجت فرنســـا جيوش جرارة وعدة متطورة في المعركة، بيد أن المقاومين الجبليين اســتمروا في تحدي مختلف المخاطر[2]، إلى أن اســتشــهد في معركة "أزلاك نتْزمّورْت" بجبل تاوْجكالت يوم27مارس1921م الموافق ليوم الاحد17رجب الأول1339هـ شرقي جنوب الخنيفرة[3].

2- جهاده: بدأت مقاومة موحا أو حمو الزياني قبل فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م؛ فقد اصـــطدم بالفرنسيين منذ وقت مبكر حينما أرسل بعض قواته لمؤازرة قبائل الشاوية منذ سنة 1908م. لكنه سرعان مـــا رجـــع إلى بلاده ومن الشاوية إلى سهول سايس لبداية مقاومته ضد التوسع الفرنسي في الأطلس المتوسط.

وقد سعى المقيم العام الفرنسي ليوتي- ليوطي-، لغزو وإخضاع قبائل إقليم الأطلس المتوسط ابتداء من نهاية جوان1914م، إذ كلف الجنرال"هنريس""Henrys" للقيام بهذه العملية التي حضر لها كل الإمكانات المادية ووضع لها خطة تتمثل في الهجوم على الإقليم وإخضاعه بأسرع وقت خاصة و أن باريس أصبحت تلح على ليوتي إرسال المزيد من القوى إلى أوروبا تحضيرا للحرب العالمية الأولى التي أصبحت حتمية أوروبية؛ وهنا وقع ليوتي في معادلة صعبة حول مدى إخلاصه لوطنه ليختار بين حفاظه على المغرب الأقصى حسب تصوره الذي لم يكن يشاطره فيه أحد في باريس، وبين انتقاده لخطة باريس التي طلبت منه إرسال ثلثي القوات المتواجدة في المغرب للمشـــاركة في الحرب العالمية الأولى، وفي نفس الوقت عزل المغرب عن أحداث أوروبا حتى لا يتحول إلى عبء على فرنسا في تلك الظروف الدقيقة لأن مصيره سيتقرر على مسرح الأحداث في أوروبا[4].

والجنرال هنريس"Henrys" الذي أنيطت له مهمة غزو واحتلال بلاد زيان، شرع في محاصرتها في الميادين الاقتصادية والعسكرية والسياسية؛ فمن الناحية الاقتصادية العمل على تطويق زياد من جميع الجهات وخاصة من جهة الشمال لحرمانها من تموين السهول، ومن الشمال الغربي لفصلها عن المراعي الأزغارية، وعزلها عن قبائل المغرب الأوسط وبالتالي تصغير مساحتها وتكميشها إلى اصغر وحدة، بشكل لا يسمح لها بالصمود أمام العدو، وحتى تصبح قبائل زيان في أمس الحاجة لمساعدة المستعمر. وعسكريا أقام الجنرال هنريس بعد احتلال

(1) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص341.
(2) محمد القبلي، مرجع سابق، ص ص 534-535.
(3) أحمد بن قاسم المنصوري، المصدر السابق، ص297.
(4) محمد حواس، مرجع سابق، ص100.

قبائل بني مطير وبني مكيلد سنة1913م سلسلة من المراكز العسكرية بإيطو،وإيفران وأزرو. وفي الشمال لبلاد زيان احتل الجنرالF.Desperey قبائل زعير، وأســـس مراكز أخرى في تيداس وولماس، والمعازيز، ومولاي بوعزة. وفي الجنوب كانت تادلة، منذ سنة1913م، في يد الاحتلال الفرنسي بعد الحملة السكرية التي قادها الكولونيلMangin، وفي بداية1914م تم هذا الإحكام التطويق العسكري[1].

وتم الهجوم على بلاد قبائل زيان من ثلاث جهات للتموين والارتكاز: من جهة الجنوب، وقع الهجوم حول مريرت في8جوان بقوات تعدادها ثلاثة(03)أفواج ونصف الفوج، وثلاث سرايا، وثلاث بطاريات مدفعية يقودها الكولونيلClaudel ومعه الجنرال هنريس قائد العمليات العســكرية في بلاد زيان. ومن جهة الغرب: مجموعة الكولونيلGarnier Duplessis، وتتوفر على ثلاثة أفواج، ســريتين من المشــاة، ومدفعين. ومن الشــمال جاءت فرقة الرباط تحت قيادة اليوتنان كولونيلCros، وتتكون من ثلاثة أفواج ونصــف الفرج، وســريتين ومدفعين. وكان أجمالي المجموعات الثلاثة تتوفر على عشــرة(10)أفواج و07كتائب،و7قطع مدفعية، أي حوالي15ألف جندي و360ضابطا والتي انطلقت في آن واحد متجهة نحو خنيفرة[2].

وفي المقابل جاء رد فعل المقاومة اتجاه هذا التحرك الفرنسي؛ إذ في يوم8جوان بدأ القائد موحاوحمو بتقسم المجاهدين إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تهاجم من ناحية وادي ايفران جيش Claudel، والمجموعة الثانية تحت قيادة أبن عمه موحا ناحية مولاي بوعزة تعترض سبيل جيشا Cros وG-Duplessis. ودارت عدة معارك بين الجانبين لكن في الأخير تمكنت القوات الفرنســية من الدخول إلى مدينة الخنيفرة[3]، بتاريخ14جوان1914م والتي كانت قد خلت من الســكان بعد نقلهم إلى الجبال الأطلســية تجنبا لارتكاب مجازر في حقهم كما تعودت الحملات العســكرية في المغرب بعد انســحاب زعماء المقاومة منها، ومحاولة منهم استدراج القوات الفرنسية لحرب استنزافية طويلة الأمد[4].

2-أ- معركة الهري13نوفمبر1914م: تعود حيثيات هذه المعركة إلى رغبة قائد الكتيبة التي كانت في مدينة الخنيفرة الكولونيل "لافردير" في إلقاء القبض على قائــد المقاومة الزيانية موحا أو حمو الزياني لأسره والقضاء على المقاومة في الإقليم، والذي كان في مقر قيادته في منطقة "الهري" في الضــفة اليســرى من نهر أم الربيع، والتي كانت تبعد خمسة عشر(15) كيلومتر جنوب شرق الخنيفرة.

(1) محمد بن لحسن ، معركة لهري(13نوفمبر1914)م صفحات من الجهاد الوطني، المرجع السابق، ص ص14-15.

(2) نفسه، ص16.

(3) نفسه، ص18.

(4) محمد حواس، مرجع سابق، ص101.

وقد انتقل على رأس قوة من1187جندي تحت قيادة43ضـــابطا، وعندما كان يظـــــن أن المهمة توجت بالنجاح بعد دخوله القرية ومفاجئة سكانها بالقتل والنهب وحرق المتاع والاستيلاء على ممتلكاتهـا، ولكنـه وقع في فخ محكم وضـعه له موحا أو حمو الزياني عندما هاجم المقاتلون الزيانيون الفرقة الفرنسية من الخلف وقاموا بقتل أكثر من 650جندي[1]، وهنا من يقول: 580جنديا[2]، و33ضابطا من بينهم"لافردير" نفسه،كما غنموا منها كامل المدفعية وســريتين للرشـــاشـــات الثقيلة[3]، وغنم المقاومون 8 مدافع و700بندقية وعددا كبيرا من العتاد، كما أسر عدد كبير من الضباط والجنود[4]، وبالمقابل استشـهد في هذه المعركة حوالي ثلاثمائة(300)، ونحو ألف(1000) جريح[5].

وقد تمكن الزيانيين وعلى رأســهم موحا أوحمو الزياني من إلحاق هزيمة نكراء بالقوات الفرنســية، والتي قال عنها ليوتي في برقية لحكومته بأنه: **"لم يسبق لفرنسا في تاريخها العسكري أن منيت بمثل هذا التدمير في قوة هامة من قواتها و خسرت مثل هذا العدد من ضباطها وأضاعت مثل هذا القدر الكبير من عتادها".** وقد أورد أحد الضباط الفرنسيين عن معركة لهري:**" إن جيشنا لم تصبه قط- في إفريقيا الشمالية- فادحة كالتي أصـــابته في معركة لهري"**[6]. وكان لهذا الانتصـــار أثر بالغا في نفوس القبائل، وأعاد مجدد الأمل في تحرير البلاد من قبضـــة الاســـتعمار، وفي ذات الســـياق نقل لنا الباحث محمد بن لحســـن في كتابه معركة لهري(13نوفمبر1914)م صفحات من الجهاد الوطني بعض النصوص منها:**" انتصار لهري قوبل بفرح كبير في المغرب كلع، وجدد الحماس لدى أعداء التدخل الفرنسي"**، و،**" في المغرب انتشر خبر لهري واستغله المغاربة بحيث أحدث أضـــرارا للحماية، وأعطى لموحا وحمو ثقة كبيرة، بينما خســـرت فرنســـا هيبتها ونفوذها".**

وبالرغم من ذلك لم يقم موح وحمو الزياني بتحرير مدينة الخنيفرة بالرغم من أن ذلك كان بالســـهولة بما كان لو أراد ذلك، فقد ضـــيع الزياني فرصـــة كان بإمكانها أن تكون منعرجا حاســـما ليس فقط في مقاومة الأطلس المتوســـط بل في كامل المغرب الأقصـــى خاصـــة وأن ليوتي ســـارع لاســـتدراك الموقف عســـكريا و معنويا في المدينة[7].

([1]) محمد حواس، مرجع سابق، ص102.

([2]) محمد القبلي، مرجع سابق، ص 534.

([3]) محمد حواس، مرجع سابق، ص102.

([4]) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص241.

([5]) أحمد بن قاسم المنصوري، المصدر السابق، ص259.

([6]) محمد بن لحسن ، معركة لهري(13نوفمبر1914)م صفحات من الجهاد الوطني، المرجع السابق، ص ص116-117.

([7]) محمد حواس، مرجع سابق، ص ص102-103.

ولقد أدت معركة "الهري" إلى تصعيد نفسي كبير لدى الزيانيين لمواصلة هجماتهم على المراكز الفرنسية على ضفة نهر أم الربيع؛ فخلال شهر جانفي1916م قام الزيانيون بأربع هجمات كاسحة على العديد من المراكز الفرنسية، وقد جاء في تقرير الجنرال"مونييه" Moinier" أن هذه الانتصارات المتتالية ليست فقط نتيجة انتصار "الهري" ولكنها نتيجة التحاق السلطان عبد الحفيظ بجبال الأطلس المتوسط لمقاومة الاحتلال الفرنسي واسترجاع العرش العلوي المغتصب بفعل معاهدة الحماية[1]. وقد حقق موحا أوحمو الزياني من سحق القوات الفرنسية في معركة "تاغزوت" في تاريخ15جوان1916م.

وبهذه المعارك تكون المقاومة الزيانية قد حققت الكثير من المكاسب من أهمها توقيف كل التوسعات الفرنسية في جبال الأطلس المتوسط، وعلى كل حال فالجبهة المغربية، والمستعمرات الأخرى سواء في إفريقيا أو آسيا لم تعد لها أولوية بالنسبة لباريس. وحتى الجنرال ليوتي غادر المغرب للضرورة الحربية بين (ديسمبر1916ومارس1917م) حيث عُين كوزير للحربية وحل محله في المغرب الأقصى مؤقتا الجنرال"غورو ""Gouraud"وقد أدى كل ذلك إلى اقتصار الموقف الفرنسي في الحفاظ على مكاسب ما قبل الحرب كاستراتيجية استعمارية في كل المستعمرات ففي جبال الأطلس المتوسط أحاطت القوات الفرنسية معسكراتها بالأسوار الشائكة والتزمت الهدوء عسكريا. ولكن مناوراتها الثقافية والسياسية بقيت متواصلة عن طريق الكتاب العسكريين والبعثات التنصيرية التي استغلت ظروف الحرب العالمية الأولى في التفريق بين القبائل وتحقيق ما عجزت عنه بندقية الجندي الفرنسي في "الهري" و"تاغزوت"[2].

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى جعلت الإدارة الاستعمارية الفرنسية من أولوياتها العسكرية إخضاع جبال الأطلس المتوسط؛ فشرعت مباشرة في محاصرة الزيانيين في الجبال وحرمانهم من التموين عن طريق كل الطرق التجارية مثل: فاس- مكناس، التي كانت جد حيوية بالنسبة لهم. فقد وسع ليوتي حربه لتصبح شاملة "**فقد أصبح الاعتبار الاقتصادي متوافقا مع الاعتبار العسكري والتحكم في السوق لا يقل أهمية عن التحكم في المدافع لأن كلاهما ينشران الحرب والسلم**" على حد تعبير ليوتي، ولذلك كان الزيانيون من أهم ضحايا هذه السياسة فتوالت عليهم الهجمات العسكرية من جميع الجوانب، وتمت محاصرتهم اقتصاديا ودمرت بنيتهم الاجتماعية؛ ففي جانفي1921م قامت فرقة الخنيفرة بنهب عدد كبير من القبائل في أبقارهم وأغنامهم. وقد توالت بعدها عمليات النهب[3].

([1]) محمد حواس، مرجع سابق، ص103.

([2]) نفسه.

([3]) محمد حواس، مرجع سابق، ص104.

وحتى تكون هذه الحرب شاملة كما أرادها ليوتي، فقد بدأ لأول مرة استعمال الطيران العسكري الذي بدأ في قصف هذه القبائل بصورة دورية للتأثير عليها ودفعها للاستسلام؛ فقد ذكر أحد العسكريين أنهم اسقطوا أكثر من قنطار من المتفجرات على هذه القبائل في يوم واحد، وعلى أثرها لم يستطع الزيانيون مواجهة هذه الآلة التدميرية الشاملة. فقد كان على موحا أوحمو الزياني و موح و سعيد الوراوي وغيرهم من القادة حماية القبائل من هذه حرب الإبادة، وفي نفس الوقت مواجهة القوات الفرنسية التي استرجعت حيويتها الإبادية في كل المناطق المغربية التي كانت تعرف مقاومة خاصة وأن موازين القوى لما بعد الحرب الكبرى كانت لصالح باريس التي استغلتها في إنهاء كل مخططاتها الاستعمارية لذلك لم يستطع الزيانيون توقيف هذه الحملة وبالرغم من صمودهم في عدة معارك مثل "تاقا إيشيعان" في20افريل1920م[1].

وفي نهاية1921م اصطدم الزيانيون مع القوات الفرنسية في معركة "البقريث" التي وضعت الزيانيين أمام "**الاختيار بين الفناء وضع السلاح**"، قام الزيانيون بتوقيف كل العمليات العسكرية واستسلامهم للأمر الواقع الذي جنبهم الانقراض كمكون من مكونات المجتمع المغربي خاصة بعد معركة"ازلاك نترومرت" في جبل "تاوجكالت" بتاريخ27 مارس1921م التي استشهد فيها روح المقاومة الزيانية موحا أوحمو الزياني محققا بذلك أمنيته بموته شهيدا في الدفاع عن الأطلس المتوسط[2]، إلا أن القتال استمر بين القبائل الكثيرة التي حملة السلاح وجيش الاحتلال؛ ومانت من العائلات الأطلسية7800خارجة عن النفوذ الفرنسي، حتى تمكن المستعمر الفرنسي أخيرا من التفوق بفعل الطيران والأسلحة والعتاد، ولم يستول على آخر المعاقل الأطلسية بعد أن انتقل المجاهدون إلى الجنوب للالتحاق بمناطق مقاتلة أخرى، وكان أخر معقل استول سنة1926م[3]، وتم بذلك "القضاء على أخطر على الوجود الفرنسي في المغرب لأنها هددت قطع المواصلات بين فاس ونهر ملوية، أي بين المغرب والجزائر[4].

2- مقاومة قبائل آيت عطا (1918-1933)م: استمرت المقاومة في مناطق مختلفة من الاطلس بعد استشهاد موحا وحمو، لم يبق من جيوب المقاومة إلا قبائل آيت عطا[*] في الجنوب بقيادة المجاهد التوزونيني، والمجاهد عسو أو بسلام.

([1]) محمد حواس، مرجع سابق، ص104.

([2]) نفسه، ص105.

([3]) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص242.

([4]) محمد حواس، مرجع سابق، ص105.

آيت عطا [*]: وتنقسم قآيت عطا إلى خمسة اتحادات؛ وهي: **1**- آيت والال وفيها: آيت أوزين، وآيت الربع، وآيت مولاي، وآيت بوبكر، و آيت أونير، وفيها:آيت إينور، وآيت الربع. **2**- آيت واحليم وتضم: آيت زيمور، وآيت حسو. **3**- آيت إيسفول،ومنها:آيت بابيغف، وآيت يشو، وآيت

2-1- مقاومة التوزونيني1918م: حددت تاريخ بداية سنة 1918م لأن الزعيم التوزنين نجح في تعبئة قبائل آيت عطا وتحقيق المصالحة بين مختلف فخذاها التي سارعت إلى تناسي أحقادها، وعقد العديد من الهدنات وانتخاب التوزونيني للحرب يوم17فيفري1918م[1].

1- التوزونيني مولده وسيرته: هو مبارك بن الحسن بن محمد بن أحمد بداح، وهذا الجد الملقب بـــ"بداح" هو الذي أسلم وكان يهوديا، ازداد حوالي سنة 1873م- 1874م في قرية توزونين بقبيلة أقا في بلاد سوس، ينحدر من وسط أسري فقير اضطره إلى الهجرة رفقة عائلته إلى منطقة تافراوت للاشتغال بالفلاحة. غير أن اللحظة التي غيرت مسار التوزونيني كانت مصادفته سنة 1904م طائفة من أتباع زاوية إيليغ، فتأثر بمنهجهم في الحياة وبأفكارهم الروحية وتبنيهم طقوس الصوفية من تقشف وابتعاد عن الأمور المادية.

قرر التوزونيني مرافقة أتباع الشيخ الإلغي، وتحمس لحياته الجديدة واندمج بسرعة في طقوس وشعائر الصلحاء وأصبح يقتدي بأحوال شيوخه خصوصا ما تعلق بالمظاهر، فقل كلامه وأسدل لحية كثيفة وارتدى ثيابا رثة مرقعة وأصبحت السبحتان لا تفارقانه. وعلى غير عادة شيوخ زاوية إيليغ وصلحائها الذين كانوا يلتزمون الحياد، أخذ التوزونيني يتدخل في الشؤون القبلية، وهو ما أثار استياء شيوخ الزاوية الذين قرروا طرده سنة 1914م. توجه التوزونيني إلى بلاد دادس عملا بنصيحة شيخه مولود اليعقوبي الذي خاطبه قائلا:"... **لا يمكن أن يستقيم لك ما تريد في بلاد سوس وربما لا يتم لك ما تريد إلا في قبائل القبلة الجاهلة"**[2].

2- دعوته وجهاده: بعد هزيمة أحمد الهيبة سنة1912م، السابق ذكرها في الفصل الأول، والتي شارك فيها التوزونيني اكسبته خبرة عسكرية، وكانت له أيضا فرصة سانحة تعرف فيها عن قرب على دواليب السلطة. رجع إلى سوس حيث قضى حوالي04سنوات في التجوال والترحال متأسيا بأحوال الاولياء والصلحاء. ثم حل التوزونيني بجنوب تافيلالت، حيث شرع في تنفيذ أفكاره ومشاريعه السياسية والدينية، وتنبه لمبادئ وتعاليم

حمى، وآيت براهيم وحمي. وآيت علوان، ومنها: آيت غنيمة، وبيت بومسعود، وآيت سيدي، وآيت أونزار. **4**- آيت إيعزا وفيها: آيت خليفة، وآيت الفرسي. **5**- آيت أونبكي ومنها: آيت خباش، وآيت أومناصف.

أما المجال الجغرافي لقبائل آيت عطا فيمتد من المقاطعات الشمالية لدرعة وتافيلالت على طول يتراوح بين80و160كلم، و بمجموع سكاني تقريبي38ألف شخص، ويعيش حوالي عشرة(10)آلاف منهم في قلب آيت عطا، أما الآخرون فيتوزعون بالتقارب على أراضي غزو بتافيلالت وزيز وغريس، وفركلة ودادس في الأطلس الكبير.=

= للمزيد ينظر: سبيلمان جورج، **آيت عطا الصحراء وتهدئة آفْلاَّ- نْ- دْرَا**، ترجمة وتعليق، محمد بوكبوط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007م، ص ص(61-81). وأيضا: منير زكي،"**جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للقبائل المغربية آيت عطا نموذجاً**"، دورية كان التاريخية، السنة السابعة، العدد23، مارس2014، ص ص69-70.

([1]) قاسم الحادك،" **حركات المقاومة الدرقاوية في منطقة تافيلالت بالمغرب: زعماء بين إعلان الجهاد واللجوء إلى العنف وسفك الدماء**"، مجلة عصور الجديدة، نصف سنوية، العدد10،جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر، جويلية2013م، ص ص228-229.

([2]) نفسه، ص ص227-228.

الطريقة الدرقاوية التي كان يتشبع بها أغلب سكان المنطقة؛ فمبجرد وصوله إلى بلاد دادس تقرب إلى الشيوخ الدرقاويين خاصة الشيخ عبدالمالك الدادسي العمراني، إذ أصبح درقاويا. وكما بادر بملازمة ضريح سيدي محمد نفروتن والاستقرار

بجواره وهو الولي الصالح الذي تقدسه قبائل آيت عطا ويحظى باحترام واسع لديها، وكما أن اختيار التوزونيني لقبائل آيت عطا لبث دعوته وانطلاق حركته لم يكن صدفة؛ فقد كان يدرك أن أي مشروع سياسي يحتاج بالإضافة إلى النفوذ الديني والصوفي- الذي تجسد في انتمائه للدرقاويين، إلى عصبية قبلية تعضده وتدعمه، وحتى يكسب ثقة ساكنة المنطقة والأعيان على الخصوص تصاهر مع أسرة عبدالله بن احساين التمصلوحتي بقرية تازارين[1].

ولما تأكد التوزونيني أن الظروف أصبحت ملائمة لنشر مبادئه وأفكاره بعدما ترسخت مكانته بين الناس وازدادت ثقتهم به، وصار يستدرجهم ويومئ في بعض المجالس الخاصة؛ وابتدأ نشاطه متبعا أسلوب الوعظ والإرشاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع راية الجهاد وضرورة إحياء أمور الدين وإعلاء كلمته؛ وهكذا وجدت نداءات التوزونيني ودعواته آذانا صاغية لدى قبائل آيت عطا، وعمل على تعبئة هذه القبائل وتحقيق المصالحة بين مختلف فخذاها التي سارعت إلى تناسي أحقادها، وعقد العديد من الهدنات و في الأخير تم انتخاب التوزونيني للحرب يوم17فيفري1918م. وقد اعتبر الفرنسيون تحالف آيت عطا وآيت مرغاد وتجاوزهم لصراعاتهم حدثا استثنائيا في تاريخ المنطقة بين لهم أنه من غير المفيد الاعتماد كثيرا على التناقضات القبلية للسيطرة على المنطقة في الوقت الذي يعمل فيه التهديد الخارجي أو الأجنبي على خلق الوحدة بين هذه المجموعات القبلية المتصارعة[2].

وكانت أولى عملياته الجهادية، التخطيط لاغتيال أركان قوات الاحتلال بالمنطقة وهذا سيكون له صدى هائل في الأوساط القبلية، فكان التخطيط لاغتيال الضابط الترجمان أوستري"Oustry"، الذي كان "**شديد البأس لا يجول في صدره خوف من أحد... حتى إن الثائر والنكادي جمعا يوما آيت عطا وطلبا منهم أن يقوموا بالجهاد وأن يفكوا إخوانهم مما هم فيه مما يلاقونه من الجبار الفرنسي... فكان آيت عطا يعتذرون بأنهم لا يستطيعون الإقدام على ذلك خوفا منه**".

ولتنفيذ عملية الاغتيال هذه، ولصعوبة هذه العملية بالنظر إلى كيفية تدبير وتنفيذ عملية اغتيال الضابط الفرنسي المحصن في تافيلالت وسط قواته، ووعيا منه بخطورة هذه العملية وأن كل هفوة في مسار تنفيذها

(1) قاسم الحادك، المرجع السابق، ص ص228-229.

(2) نفسه.

سيجعل طموحاته وآماله في مهب الريح. أسند مهمة تنفيذها لشخص من حراطين إملوان يدعى لحو أو عبد الدايم. وقد أورد محمد المختار السوسي في المعسول تفاصيل هذه العملية التي خطط لها وبسرية تامة التوزونيني وقائد جناحه العسكري بلقاسم النكادي قائلا:" **توجه الحرطاني فاتصل بالحاكم في مكتبه فأعطاه رسالتين فقرأ الأولى وكانت تشتمل على الثناء عليه فاستبشر ثم اشتغل باستخراج الثانية من غلافها، فإذا بالحرطاني يغمد فيه خنجره، فقامت الهيعة من الأعوان ومن زوج الحاكم فتبعوا الحرطاني ثم لم يظفروا به إلا بعد جهد جاهد. وبعد أن قتل وجرح آخرين، رماه طبيب برصاصة قضت عليه بعد أن نطق بالشهادتين جهرا**". وبعد نجاح عملية اغتيال أوستري 3جوان1918م، تمكن التوزونيني من تحقيق خطوة أولى نحو ترجمة مشروعه في السياسي على أرض الواقع؛ فعمل بسرعة على استثمار هذا الإنجاز البطولي وتوظيفه لخلق تعبئة كبيرة حول حركته، "**فقام في الأسواق ينادي في الناس بالجهاد لاسيما في أسواق آيت عطا يندب الناس إلى مقارعة الفرنسيين وإلى إجلائهم من قطر تافيلالت**".وهذا بالإضافة إلى استقطاب وتكتل وانضمام العديد من القبائل الأخرى ومنها: قبائل آيت مرغاد وآيت حديدو بزعامة الشيخ سيدي علي الهواري[1].

2-أ- معركة البطحاء(كاوز): وترجع حيثيات هذه المعركة، والتي انتهت بانتصار قوات التوزونيني وتكبيد القوات الفرنسية خسائر كبيرة تمثلت في قتل حوالي238 من بينهم11ضابط، و68جريح وفقدان13آخرين، وبالمقابل استشهد حوالي600رجل من رجال المقاومة، على محاولة فرقة عسكرية فرنسية بقيادة Pochelu التوغل في غابات النخيل بغية الالتفاف على المقاومين الذين كانت أعدادهم تقدر بحوالي 2000رجل. وبهذا الانتصار يكون قد زاوج التوزونيني بين القيادة الروحية والصوفية التي جسدها شخصيا في انتمائه للطريقة الدرقاوية واستغلاله الذكي للفكر الصوفي الدرقاوي الجهادي السائد في المنطقة[2]. وأيضا، إرغام ما تبقى من الوحدة المتنقلة بقيادة دوري على التراجع والانسحاب من المنطقة في انتظار الامدادات العسكرية، وقد أدرك المقيم العام الجنرال ليوطي الخطورة التي تشكلها تلك الأحداث على مستقبل الفرنسيين في المنطقة، وعبر عن تخوفه من اتساع رقعتها وتحولها إلى ثورة شاملة في كل الجنوب الشرقي فقرر تعبئة أقصى ما يمكن من القوات لوضع حد لهذه الحركة.

وبغية تسهيل عمليات تموين المنطقة وضمان سرعتها وفعالياتها قرر إلحاق المنطقة بجهة مكناس وجعلها تحت قيادة الجنرال بويميرو الذي تكلف بالإشراف على العمليات العسكرية لتحرير مركز تيغمرت المحاصر. ولم تتمكن الوحدة المتنقلة من دخول المركز إلا بعد معارك عنيفة فقدت خلالها6قتلى، و16جريح، وعادت

(1) قاسم الحادك، المرجع السابق، ص ص231-232.

(2) نفسه، ص232.

بعدها جماعات المقاومين لمحاصرته من جديد رغم تكبدها لخسائر كبيرة قتلى أغلبهم من أنصار الشيخ الدرقاوي سيدي علي الهواري قدرتها التقارير الفرنسية بحوالي 300 قتيل، قرر هذا الأخير الانسحاب من حركة المقاومة(*) ومغادرة تافيلالت رفقة أتباعه، وبهذا فقدت حركة المقاومة قوات قبلية مهمة، إلا أنها لم يؤثر بشكل كبير على نفوذهم بفعل الانتصارات التي حققوها، والتي جعلت تأثيرهم يمتد ليشمل كل قبائل شرق دادس ودرعة وأغلب آيت عطا[1].

وقد تلقى الجنرال بويميرو تعليمات واضحة من المقيم العام تقضي بالإخلاء التام لمركز تيغمرت. وقد علل ليوطي هذا القرار بظروف الحرب العالمية الأولى وصعوبة تحمل الخسائر الكبيرة الناجمة عن عمليات التموين المتكررة لمركز ليست له أية أهمية، واقترح في المقابل تأجيل "مسألة تافيلالت" إلى وقت لاحق، والاكتفاء بإحداث مركز عسكري في منطقة أرفود التي تتمتع بوضعية دفاعية ممتازة لكونها تشرف على كل المنطقة المحيطة بهدف الحد من تداعيات تحركات حركة المقاومة وعزلها وحصارها والحيلولة دون امتدادها إلى باقي المناطق[2].

وبعد انسحاب البعثة الفرنسية من تافيلالت، حشد التوزونيني جميع أنصاره الذين وصل عددهم حسب تقديرات الفرنسيين حوالي12ألف رجل، وأصبح يهدد المواصلات بين أرفود وقصر السوق. وبداية من عام1919م أصبحت المراكز الفرنسية في أرفود وقصر السوق محاصرة، الشيء الذي انعكس على حركية المواصلات بسبب تعرض القوافل الفرنسية لهجمات متكررة لمجموعات المقاومين؛ وقد أرجع الفرنسيون هذه الثورة الشاملة التي عمت المنطقة إلى القرار الخاطئ الذي اتخذته القيادة العسكرية والمتعلق بالانسحاب والجلاء عن تافيلالت، وهو الحدث الذي رفع من معنويات الأوساط القبلية في المنطقة التي اعتبرته هزيمة ألحقتها بقوات الاحتلال[3].

الانسحاب من صفوف حركة المقاومة (*)شكل هذا ضربة موجعة لحركة التوزونيني، ويرجع اسبابه إلى: توتر العلاقات بينه وبين قادة حركة المقاومة الذين **"بالغوا في تنقيص الشيخ وأكثروا فيه من القيل والقال ونسبوه عياذا بالله إلى الكفر والضلالة وأفتى بعضهم بجواز قتله"**. ومن أبرز الأسباب أيضا عدم استقباله بالحفاوة والتكريم اللذين يليقان بشخصه كزعيم ديني وصوفي له وزنه وتأثيره الكبيرين، نظرا لجفاء طبع التوزونيني وعدم إلمامه بالتناقضات القبلية وغروره... وغيرها.

وقد شكل انضمام سيدي علي الهواري إلى المعسكر المناوئ للمقاومة ومشاركته في الحلف المساند لقوات الاحتلال تهديدا حقيقيا للتوزونيني ولمستقبل حركته. **وما يجب الإشارة إليه أيضا:** كان شيخ زاوية سيدي علي الهواري بفركلة من بين الذين انضموا في البداية إلى معسكر التوزونيني وسارعوا إلى الالتحاق بحركة المقاومة وتدعيم صفوفها مباشرة بعد نجاح عملية اغتيال **أوستري"Oustry"**. وكاتب القبائل المرغادية وحثها على الإسراع في الدخول تحت طاعة زعيم حركة المقاومة التوزونين. للمزيد ينظر: قاسم الحادك، المرجع السابق، ص ص(236-238).

([1]) قاسم الحادك، المرجع السابق، ص234.

([2]) نفسه، ص233.

([3]) نفسه، ص ص234-235.

وابتداء من12يناير1919م شنت القوات الفرنسية العديد من الهجمات استطاعت الأخيرة من فك الحصار الذي ضربه رجال المقاومة على مركز قصر السوق بعد أن دمرت حوالي14قصرا، ونتج عنها أيضا، تراجع قدرات حركة المقاومة وانحسار نشاطها وتدني شعبية زعمائها لدى الأوساط القبلية في ظل الخسائر البشرية الثقيلة التي تكبدتها[1].

وفي الحقيقية كانت حركة التوزونيني مليء بالصراعات والتناقضات عجلت بمقتل زعيمها من اغتيال التوزونيني من طرف بلقاسم النكادي، وهذا مرجعه إلى إن الحركة كانت تشهد صراعا خفيا ضاريا بين زعيميها، فقد كان النكادي غير راض على السياسة الدموية التي انتهجها زعيم الحركة تجاه الشرفاء، ضف إلى ذلك لما قرر التوزونيني تسريح أعداد كثيرة من القوات المحسوبة على النكادي بدعوى عدم الحاجة إليها لعدم توفر أفرادها على أسلحة[2].

وقد غدر النكادي أيضا بالشيخ الدرقاوي الشيخ سيدي علي الهواري وأمر بقتله في مشهد مأساوي[*] لم تستسغه الأوساط القبلية في المنطقة على اختلافها وتناقضاتها، مما ينم عن تفكير سياسي ساذج مبني على تصفية الحسابات والثأر والانتقام تنقصه رؤية استراتيجية بعيدة وتغيب عنه قراءة مستقبلية واقعية للأحداث[3].

وقد حاول النكادي جاهدا استعادة مصداقيته كزعيم لحركة المقاومة في المنطقة زاعما إعادة حركته إلى مسارها الجهادي الصحيح، فخرج في ماي 1921م يستنفر الناس إلى الجهاد في المحافل والأسواق ويظهر في نفسه الصلاح. فقد كان متيقنا من أن الدعوة إلى الجهاد هي السبيل الوحيد الذي بإمكانه أن يوحد قبائل المنطقة، فراسل مختلف القوى القبلية بالمنطقة والتي سبق أن انسحبت من حركته مثل قبائل آيت عطا ودعاها إلى فتح صفحة جديد قائلا:"**واعلموا أن اليوم لا راحة لنا ولكم إلا بعد أخذ الثأر من المنافقين والكافرين، ونحن أردناكم أن تنهضوا معنا لقتال أعداء االله المنافقين والكافرين ومن والاهم من المتمردين، والآن وها نحن أردنا منكم جماعتكم وأعيانكم المجاهدين تردوا علينا في بلد غريس، لتعمروا مواضعكم في وسط**

([1]) قاسم الحادك، المرجع السابق، ص235.

([2]) نفسه، ص240.

ملاحظة[*]: أورد المختار السوسي تفاصيل عملية إعدام الشيخ سيدي علي الهواري وما بين10 إلى11 من أتباعه، نقلا عن المهدي الناصري قائلا: **"ثم ذهب الشيخ ومن معه تلبية للقوم، فلما وصلوا إلى قصر الجرف هجموا عليهم وجردوهم و أوثقوهم كتافا فسير بهم إلى النادي، فأمر بهم فقتلوا كلهم صبرا فجعلهم واحدا واحدا أمام المدافع فتطير أشلاؤهم، وكان الشيخ آخرهم ليعذبه برؤية أصحابه على تلك الحالة"**، وجاءت هذه التصفية، بعدما راسل النكادي بعد تصفيته للتوزونيني، الشيخ سيدي علي الهواري المحاصر في زاويته يطالبه بالتراجع عن موقفه المناوئ لحركة المقاومة مقابل وقف الحصار، فقرر الشيخ فتح أبواب زاويته بعد ثلاثة أشهر ونصف من الحصار. **للمزيد ينظر:** قاسم الحادك، المرجع السابق، ص243.

([3]) قاسم الحادك، المرجع السابق، ص242.

القبائل...". رغم عودة الخطاب الجهادي المشحون بالنبرة الدينية عند الزعيم بلقاسم النكادي، فإن ذلك لم يشفع له لدى مختلف الأوساط القبلية بالمنطقة التي اتسعت الهوة بينها وبينه فقل حماسها واقتنعت بعدم جدوى المشاركة في حركته فضعف نفوذه وقلت هيبته. و رغم محاولاته المتكررة لاستمالة العديد من المجموعات القبلية وتعبئتها بهدف تشكيل حركة جديدة ضد الاحتلال الفرنسي إلا أنه فشل وفي الأخير سلم نفسه للمستعمر، ولم تشكل تحركاته خطرا وتهديدا للقوات العسكرية الفرنسية، فأغلب العمليات التي تعرضت لها قوات الاحتلال طيلة الفترة الممتدة من1920م إلى 1930م كانت من تنظيم قبيلتي آيت حمو وآيت خباش في إطار ما يعرف بحرب العصابات[1].

2-2- مقاومة عسو أو بسلام (1929-1933)م: استمرت المقاومة في مناطق مختلفة من الاطلس؛ وهذه المرة بقيادة المجاهد عسو أو بسلام. ولإتمام الاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى كان لزاما إخضاع الأطلس الكبير وكان أيضا، يتوقف على إخضاع المقاومة في جبل صاغرو(**) معقل آيت عطا[2].

وإلى غاية نهاية سنة1930م لم تكن خاضعة إلا عشائر صغيرة لآيت سليلُّو وآيت والأَّل بدادس[3]. وعمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية أيضا على انتهاج اسلوب التهدئة الناحية الجنوبية الشرقية من المغرب الاقصى، وهي مناطق منها: زيز، وغريس، وفركلة، و تودغا، و درعة مدركين أنه يستحيل اخضاع هذه المناطق، ما لم يتم لهم السيطرة على قبائل آيت عطا وبالتالي اختلال منطقة تازارين – صاغرو ، وهي بمثابة في قلب بلاد آيت عطا[4].

وخلال سنتي1931م و 1932م تحركت القوات الفرنسية حيث احتلت وادي إيميضر ثم تودغا في نهاية أكتوبر، ثم زاكورة في قلب وادي درعة في10جانفي1932م، ثم تافيلالت في15جانفي. ثم فركلة، هذا كله أدى إلى شطر المقاومة إلى قسمين بفصل آيت عطا عن آيت مرغاد. ومنها دخول قبائل آيت عطا في تماس مع القوات الفرنسية على ثلاث جبهات: شرقا على طول خط أولتوروك- مصيصي-فزو- الطاوز؛ وشمالا على خط غريس-فركلة-تودغا- دادس، وغربا على طول درعة. وقد استسلمت المقاطعات الجنوبية لدرعة ولكتاوة ولمحاميد في نوفمبر1932م حسب قول جورج سبيلمان في كتابه آيت عطا الصحراء وتهدئة آفْلاَّ- نْ- دْرَا،

(1) قاسم الحادك، المرجع السابق، ص ص244-245.

(2) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص242.

(3) سبيلمان جورج، آيت عطا الصحراء وتهدئة آفْلاَّ- نْ- دْرَا، المرجع السابق، ص89.

(4) نفسه، ص91.

ويضيف أيضا: "**هكذا خضعت أغلبية قبائل آيت عطا دون قتال بعد أن فرقتهم جهودنا وطمأنتهم إجراءاتنا وأغرتهم وعودنا، إذ ضمن الحفاظ على أعرافهم وتقاليدهم**"[1].

1- عسو أو بسلام مولده ودعوته للجهاد: وُلد عسّو أوبسْلام في عمق جبال الجنوب الشرقي بالمغرب، في قصر "تاغيا" بإقليم تنغير الأمازيغي سنة 1890م.صادفت الفترة التي ولد فيها أوبسلام إنشاء ما سمي حلف "تافراوت نايت عطا"، وهو تحالف لقبائل أمازيغية كبيرة، هدفه الدفاع عن هذه القبائل ضد الاستعمار الفرنسي[2].

نشأ في أسرة ومنطقة متديّنتين مشهورتين بالتصوّف، وكان والده من وجهاء قبيلة "إيملشان"، إحدى فروع قبيلة "آيت عطا" الأمازيغية الكبيرة، نضج الفتى بين كبار قومه وفي مجالسهم، ما أورثه الثقة في النفس، وتعلم المشورة والقيادة، وطُرق حل النزاعات بين القبائل، ومعرفة بكل القبائل وكبارها وطبائعها. وكان للتربية التي تلقاها عسّو في قبيلته، دور هام في تمهيد طريقه نحو سيادة قبيلته، وفي سنة 1919م. عيّنه كبار قومه شيخا على "إيملشان" وهو في التاسعة والعشرين(29) من عمره. ويقول الباحث المغربي **أحمد عصيد** لـ"**أصوات مغاربية**"، عن بدايات هذا المقاوم الأمازيغي "**لقد صار قائدا لقبيلته ثم لقبائل آيت عطا كلّها، والتي شكّلت أكبر كونفدرالية أمازيغية (تجمع قبلي) لمواجهة الاستعمار، إذ كان مسموع الكلمة في قبائل آيت عطا، يجيد تسيير شؤونهم، ويتعامل مع الجميع بمنطق المساواة وفق قوانين الأمازيغ**."[3].

2- معركة بوغافر 13فيفري-24مارس1933م: يعود تاريخ حثيات هذه المعركة إلى شهر جانفي من سنة 1933م عندما قرر القادة العسكريون الفرنسيون القضاء على جماعات المقاومة التابعة لقبائل آيت عطا المتحصنة بجبال صاغرو بزعامة عسو أوبسالم، والتي تقدر أعدادها بحوالي ألفي(2000) مقاتل إضافة إلى الشيوخ والنساء والأطفال، كخطوة أولى نحو إخضاع الأطلس الكبير . ولتحقيق هذا الهدف، استنفر قادة الاحتلال قوات عسكرية فرنسية، وأخرى من المرتزقة، وأحد عشر(11) فيلقا من الكوم، وثالثة فيالق من اللفيف الأجنبي وعدة وحدات من المدفعية والخيالة وستة(06) أسراب من الطائرات[4]. وقد انطلقت عمليات جبل

([1]) سبيلمان جورج، آيت عطا الصحراء وتهدئة آفْلاَّ- نْ- دْرَا، المرجع السابق، ص ص91-92.

([2]) https://www.maghrebvoices.com › عسو- أوبسلام.. أمازيغي هزم فرنسا في 'بوكافر '، مسعود هدنة، تاريخ الإضافة يوم06مارس2018، تاريخ الإطلاع:06-02-2022م، على الساعة:10سا و 11د.

([3]) https://www.maghrebvoices.com › عسو- أوبسلام.. أمازيغي هزم فرنسا في 'بوكافر '، مسعود هدنة، تاريخ الإضافة يوم06مارس2018، تاريخ الإطلاع:06-02-2022م، على الساعة:10سا و 11د.

([4]) قاسم الحادك، "**المقاومة النسائية في المغرب من خلال الأشعار الشفوية**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد8، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، الجزائر، ديسمبر2017، ص80.

بوغافر(*) يوم13فيفري1933م حينما أحاط المقاومون بالجبل من مختلف جهاته محتمين بكهوفه وبمغاراته. وقد كانت القوات الفرنسية والمكلفة بهذه العملية في واجهتين؛ الواجهة الأولى تضم8000جندي. والواجهة الثانية تحت قيادة الجنرال جيرو والتي كانت قواته تضم فيالق من المرتزقة الأجانب والفرنسيين بنحو9000جندي وسلاحه من الطائرات والآليات44طائرة ومدافع. تمكن المقاومون من هزيمة الكتائب المتقدمة لقوات الاحتلال في أول المعركة، واستطاعوا إسقاط طائرة حربية[1]. وقد اعترفت القيادة العسكرية الفرنسية بفشلها في المعركة الأولى، والتي فقدت خلالها04 ضباط، إذ كتب تقول:"...**لم يستطع الهجوم تحقيق هدفه لأن المقاومة كانت على أشدها ضارية ومنظمة كشفت عن وجود رئيس وتنظيم محكم طويل... تقدم ملموس ولكن بعدما تحملنا خسائر فادحة. ونختبئ بالليل بين الصخور. ولا نستطيع التقدم لان أمامنا عدد كبير من الأعداء...**". وقد استطاعت فرقة المقاومة أن تستولي على قافلة من117بغلا محملة بالذخيرة والمؤونة بعدها قضت على فرقة من اللفيف الأجنبي[2].

وخلال يومي22-23فيفري تحولت المعارك إلى حرب خنادق بعد هجوم كاسح من طرف القوات الفرنسية على جبل بوغافر، وتكرر الهجوم في24فيفري إلا أنه انتهى بفشل ذريع أمام صمود المجاهدين داخل الجبل. وعن هذا يقول **الكاتب الفرنسي هانريدوبوردو**، نقلا عن **عبد الكريم غلاب** في كتابه **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**،ج3:"... **عملت الطبيعة على إنشاء جدران صخرية أوى إليها المجاهدون... ألف من البنادق بأيد ماهرة ومعهم نساء أكثر منهم شراسة واستعداداً للقتال وأخذ مكان كل رجل استشهد في المعركة، ويقمن بإذكاء حماس المقاومين عندما يصابون بالتعب أو يغالبهم النوم ويعارضن كل من يتحدث عن الاستسلام. عدد المجاهدين يفوق خمسة-05- آلاف. وكان أكثر النساء والرجال يستخدمن الأحجار من أعلى للدفاع عن النفس**"[3].

وقد عاشت منطقة بوكافر التي يتحصن فيها المقاومون بقيادة الزعيم عسو أوبسلام، حصارا عسكريا و اقتصاديا خانقا من كل الجهات دام حوالي (45) يوما، مرفوقا بقصف لسالح المدفعية المتمركز في القمم المحيطة، وبغارات عنيفة لصالح الطيران الذي استهدف الملاجئ والكهوف والمغارات، لكن هذه الخطط التي

جبل بوغافر (*): يمثل جبل بوغافر أو جبل بوكافر حيث دارت وقائع ملحمة من أروع الملاحم التي سطرتها حركات المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، قلعة محصنة بشكل طبيعي تتوسط كتلة صاغرو الجبلية، ذات تضاريس شديدة الوعورة وارتفاعات تتجاوز 2700م. للمزيد: قاسم الحادك، المقاومة النسائية في المغرب من خلال الأشعار الشفوية، المرجع السابق، ص80.

([1]) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص ص 242-243.

([2]) نفسه، ص243.

([3]) نفسه، ص244.

استهدفت وضع اليد على جميع موارد العيش لدى المقاومين بغية دفعهم للخضوع أو التسريع بوتيرة استسلامهم، ووجهت بصمود صلب من قبل جماعات المقاومة التي أصرت على مواصلة مقاومتها. لكن وبعد طول فترة الصمود الناتجة عن اشتداد الحصار العسكري والاقتصادي ولجوء القوات الفرنسية إلى تكثيف عمليات القصف الجوي والمدفعي، أدركت هذه الجماعات المقاومة المتحصنة في المرتفعات عجزها عن مواجهة القوات الفرنسية المدججة بكل أنواع الأسلحة وخاصة سلاحي المدفعية والطيران مما كان له دور كبير في النيل من معنوياتها وإرهابها والتأثير عليها نفسيا، حيث عمت حالة من اليأس رجال المقاومة، وهي ظروف جعلتهم يفكرون جديا في المكاسب التي يمكنهم ربحها في حالة خضوعهم .وأمام استمرار الحصار والقصف المكثف والمتواصل ومسلسل التجويع والتقتيل الممنهج أصبحت مسألة الاستمرار في المقاومة والصمود تعني الانتحار الجماعي، خاصة في ظل الخسائر الفادحة التي تكبدتها جماعات المقاومين، والتي تمثلت في مقتل أكثر من 2300 شخص من بينهم 500 مقاتل، وتدمير قطعان الماشية التي تعتبر رأسمالهم الوحيد، مما جعلهم يدخلون في اتصالات مع الفرنسيين انتهت بإعلانهم الاستسلام يوم 24مارس1933 وفق شروط منصفة[1].

وبعد القضاء استسلام المقاومين في جبل بوكافر أقامت الإدارة الفرنسية مراكز و أبراج المراقبة في صاغرو ومهدت طرق صالحة لمرور المركبات، وهكذا أنهت تهدئة صاغرو احتلال بلاد آيت عطا، ولأول مرة في تاريخها وكشفت لنا المقاومة العنيدة التي أبداها الثوار في صاغرو[2]، وبهذا انتهت معركة آيت عطا كما انتهت معارك الأطلس قبلها؛ فقد تفوقت القوات الفرنسية بطائراتها وجنودها واسلحتها الحديثة، ورغم صلابة المجاهدين واستبسالهم نفد سلاحهم واستسلموا لقدرهم بعدما سجلوا صفحة مشرقة في حياة المقاومة المغربية للاحتلال الفرنسي[3].

وختاما نقول، إن قبائل آيت عطا تجاوزت حدود الدفاع عن القبيلة إلى الذود عن الوطن، مسجلة بذلك صفحات مجيدة في سجل الكفاح الوطني، وكان الباعث الأساسي لمواجهتهم الآلة العسكرية الفرنسية، هو الباعث الديني، ذلك من خلال تلبية نداء الجهاد ومصاحبة بعض الزعماء الدينيين أمثال: المجاهد عسو أوبسلام، والمجاهد التوزونيني وتحريضهم على الثبات والصمود.

(1) قاسم الحادك، المقاومة النسائية في المغرب من خلال الأشعار الشفوية، المرجع السابق، ص80.

(2) سبيلمان جورج، آيت عطا الصحراء وتهدئة آفْلاَّ- نْ- دْرَا، المرجع السابق، ص116.

(3) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص244.

الفصل الثالث:

المقاومة الشعبية المغربية في منطقة الريف

1921-1926

تمهيد:

1- الحكم الإسباني في حكم المغرب.

2- تاريخ مقاومة الريف

3- مقاومة الريف محمد بن عبدالكريم الخطابي

أ- مولده ونشأته.

ب - الزعامة والجهاد

- معركة أدهار أبران:

- معركة إغريبن.

- معركة أنوال:

ج- تأسيس الجمهورية الريفية(1921-1925).

4- التدخل الفرنسي في حرب الريف.

تمهيد: بعد اندلاع الثورات الشعبية المغربية في الجنوب المغربي1912-1934م، والممثلة في مقاومة ثورة مولاي أحمد الحجامي؛ ثم ثورة أحمد الهيبة(1912-1919)م؛ لتأتي ثورة الشيخ مربيه ربه(1919-1934)م. ثم في الاطلس المتوسط والكبير اندلعت شرارة العديد من المقاومات الشعبية المغربية خلال الفترة1914-1933م وكان من أبرزها مقاومة قبائل زيان في الاطلس المتوسط؛ والتي مثلها المجاهد موحا وحمو الزياني(1914-1921)م.ثم مقاومة قبائل آيت عطا (1918-1933)م من خلال مقاومتي الشيخ التوزونيني1918م، وعسو أو بسلام (1929-1933)م. وكانت كلها مقاومات رفض المغاربة من خلالها التدخل الفرنسي، فإن منطقة الريف في الشمال المغربي عرفت هي الأخرى مقاومة عسكرية استلهم منها المغاربة على مر تاريخهم روح المقاومة والمتمثلة في ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي ضد الاحتلال الاسباني.

1- الحكم الإسباني في حكم المغرب: وقد ميزت إسبانيا بين المناطق السابق احتلال(مليلة، سبتة، إفني، منطقة الصحراء الغربية)، والتي اعتبرتها أرضاً إسبانية تخضع لحكومة مدريد مباشرة. وبين المناطق الأخرى التي تستمد إسبانيا نفوذها فيها من معاهدة الحماية بين فرنسا والسلطان المغربي. وقد اتخذت إسبانيا مدينة(تطوان) مركزاً لإدارتها للمنطقة التي آلت إليها، وعينت مندوباً سامياً إسبانياً لإدارتها، وقد عرفت بالمنطقة الخليفية لأن السلطان يعين واحداً من أعضاء أسرته لرعاية شؤون المواطنين بها[1].

2- تاريخ مقاومة الريف: قبل البحث في مقاومة محمد ابن عبدالكريم الخطابي، كان لزاما علينا أن نعرج على الثورة الريفية الأولى في سنة1893م، والتي عُرفت باسم"حرب مركالو" نسبة إلى الجنرال" خوان كارسي مركالو" الذي كان حاكما لمليلية، وقد نشبت بين قبائل الريفية والقوات الإسبانية التي كانت تريد السيطرة على حدود مليلية، وانتهت بمعاهدة فاس على و قعها حاكم المغرب سنة1894م وتهدد فيها بتعويض خسائر الإسبان في الحرب[2]. ثم الحرب الريفية الثانية التي قادها الشريف محمد أمزيان(*) (1909-1912)، وقد كانت

([1]) شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، (طبعة جديدة منقحة ومزيدة)، الطبعة الثانية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض،2002، ص92.

([2]) المركز الخطابي الحروب الثورية، علي الإدريسي، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية لثورة الريف الثالثة(1921-1926)**، المركز الخطابي الحروب الثورية ، الطبعة الأولى،2019م، ص25..

(*)**محمد أمزيان:** من أولاد أحمد أعبد السلام بن صالح القلعي الشرفاء الأدارسة الذين جعلوا قبيلة قليعة مقرا لهم، والتي آوت الشرفاء الحموديين الذين عبروا البحر من الأندلس، عندما أفلت دولتهم هناك. وقد أسست عائلته زاوية قرب مدينة الناظور، دعيت زاوية أولاد أحمد أعبد السلام. وفي سنة1909م هاجم محمد أمزيان السكة الحديدية التي كانت تربط بين مليلية ومنجم الحديد بضواحي اسغنغان، ودارت بيه وبين القوات الاسبانية هناك معارك استمرت ستة06أشهر؛ فقد فيها الجيش الاسباني حوالي2000جندي بين قتيل وجريح. ينظر للمزيد: أحمد عبد السلام البوعياشي، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، ج1، مطبعة دار أمل، طنجة، 1974م، ص415.

منطلقاته الكفاحية تقوم على التعبئة الدينية والوطنية وبالتعاون مع علماء ووجهاء الإقليم[1]. وقد لقبه محمد حسن الوزاني في كتابه، في مذكراته حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية-2- حرب الريف. بـ"**بطل ثورة الريف الأولى، وأعتبره من أشهر قواد الجهاد ضد المحتلين الإسبان**".

وقد اندلعت مقاومة الريف الثانية بقيادة المجاهد محمد أمزيان لما حشد الإسبان جيوشهم في ناحية مليلية للعدان على الريف في عام1909م، وقد دامت معاركه مع الإسبان سنتين (02) تجشم فيها الإسبان أعظم الخسائر وأفظع الهزائم، ويقال إنهم خسروا فيها عشرة(10)آلاف قتيل، وفي طليعتهم قواد عسكريون كبار كالجنرال بينتو والجنرال فيكاريو، والجنرال سلفادور. وهذا بالإضافة إلى خوضه العديد من المعارك لم تستطع القوات الإسبانية من القضاء على مقاومته إلا في يوم15ماي1912م أين أستشهد في قبيلة بني سيدال، التي التجأ إليها بعد احتلال القوات الإسبانية لجبل العروي[2]. وجاء استشهاد قائد الثورة الشريف أمزيان ليضع حدا وإلى حين للكفاح المسلح بسبب الهجوم الكاسح للقوات الاسبانية بعد الاتفاق الفرنسي- الإسباني المقترن بالتفوق العددي والتسلحي والمؤني ثم لتعود الثورة الريفية ثانية وليتداخل ويتلاحم الكفاح في الشمال المغربي وينطق وفق أسس تعبوية أكثر وعيا بحقيقة قوة الخصم وأهدافه بانطلاق ثورة الريف المغربية بقيادة الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي[3] بعد اندفاع القوات الإسبانية لاحتلال منطقة نفوذها التي حددها ذاك الاتفاق، حيث أصبح خطر الاستعمار الإسباني ينتقل من ناحيتي مليلة وتطوان، متوجها نحو قبيلة القاضي عبد الكريم الخطابي[*]، وابنه محمد[4].

([1]) محمد علي داهش، **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مركز الكتاب الاكاديمي، د،ت، ص104.

([2]) محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية-2- حرب الريف**، مؤسسة محمد حسن الوزاني، د.ت، ص ص(10-15) .

([3]) محمد علي داهش، **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مركز الكتاب الاكاديمي، د،ت، ص104.

([*])**عبد الكريم الخطابي**: هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، كان عمه زيان واليا على الريف الأوسط للسلطان محمد بن عبد الرحمن، وكان طالبا يقظا منصفا، وقد خلف لعائلته شهرة وقيادة القبائل الوسطى للريف وبالأخص بني ورياغل، قام بمجهود جبار لمقاومة الاستعمارين الفرنسي والإسباني.

وقد عمل عبدالكريم الخطابي على جمع كلمة قبيلته والقبائل المجاورة، وقد أسس مراكز استراتيجية، وأنشأ خطوطا حربية لتصدى للاستعمار الإسباني وقام بتأسيس مركز لتدريب المجاهدين في موضع يسمى "وذيع" مقابل للمركز الإسباني في تفرسيت، بقي عبد الكريم الخطابي في مركز وذيع حتى شهر أوت 1920م، وقد حاول الإسبان مرات عديدة إلقاء القبض عليه لكنهم فشلوا في كل مرة، إلا أن جهاد هذا القائد توقف بسبب مرضه الغامض والمشبوه في أسبابه، حيث يقال أنه سم على يد عميل من عملاء الجيش الإسباني، فتنقل إلى بيته أين وافته المنية شهر أوت1920م.بعد شهرين من ذلك العمل التنظيمي من أجل مقاومة المستعمر الإسباني. ينظر للمزيد: أحمد عبد السلام البوعياشي، مرجع سابق، ص ص424-425. **وأيضا ينظر**: محمد حسن الوزاني، المصدر السابق، ص35. **وأيضا ينظر**: محمد علي داهش، صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار1912-1927، مرجع سابق، ص92.

([4]) محمد علي داهش، **صفحات من الجهاد و الكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الطبعة الأولى ،الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010 م، ص88.

3– مقاومة الريف محمد بن عبدالكريم الخطابي: إذا كانت الثورات الشعبية المغربية قد عبرت عن رفض المغاربة للتدخل الفرنسي في وسط وجنوب المغرب، فإن منطقة الريف(*) في الشمال المغربي هى الأخرى عرفت مقاومة عسكرية استلهم منها المغاربة على مر تاريخهم روح المقاومة؛ فقد شكلت ثورة الريف بين سنتي 1921و1926م بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي تطورا معياريا في مسار مقاومة المغاربة خلال القرن20م، على إثرها تحولت منطقة الريف إلى بؤرة ثورية هزت عالم المستعمرين، وأرقت مهندسي السياسة الاستعمارية في باريس(1).

أ– مولده ونشأته: يرى الباحث علي الإدريسي في مقال له في كتاب" **الخطابي مُلهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية لثورة الريف الثالثة(1921–1926)**، أن محمد بن عبد الكريم الخطابي ولد يوم15شعبان سنة 1300هـ– 1882م في بلدة أجدير قرب بلدة الحسيمة في الريف الشمالي المغربي. ويعود نسب الخطابي على حسب مراجعة المصادر التي توصل إليها الباحث، إلى جزيرة العرب إلى القبائل العربية، وقد هاجروا من جزيرة العرب والحجاز إلى المغرب واستقلوا بحكمها عن الخلافة العباسية. هذا ما تردده العائلة الخطابية وتناقلته عبر الأجيال، وهو ما يدعمه قول الخطابي نفسه: **"نحن من أجدير وننتمي إلى آيث واريغر(بني ورياغل) إحدى قبائل الريف. ويعود نسبُنا إلى آل السيد محمد بن عبدالكريم المنحدرين من الحجاز من ينبُعْ تحديداً على شواطئ البحر الأحمر جَدّنا الأكبر كان يُسمى زارع الينبعي، وقد جاءت أسرتي إلى المغرب في القرن3هـ/9م واستقرت في قبيلة بني ورياغل"**(2).

وقد نشأ محمد بن عبد الكريم الخطابي في مدينة مليلية تلقى دروسه الأولى على والده من تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم. ثم سافر إلى فاس وتمكن فيها من نيل إجازة العلوم الدينية، ورجع بعدها إلى مليلية أين التحق بمدارسها الإسبانية وحاز على دبلوم مدارسها الثانوية في مدة قصيرة نتيجة دهائه ونبوغه. ثم سافر إلى اسبانيا وفيها التحق بجامعة(شلمنكا) وتحصل على شهادة الحقوق والآداب ولقب دكتور فيها، وكان

(*)**منطقة الريف:** كلمة الريف لا تعني المناطق الزراعية، ولكنها تعني في المغرب الأقصى طرف الشئ أو نطاقه الخارجي، وهي تعني الساحل الشمال؛ وهي تمتد بمحاذاة البحر على مسافة طولها120ميلا. وتقطن هذه المنطقة قبائل الجبالا، ومن القبائل التي تسكن الريف أيضا قبيلة ورياغل التي ينتسب إليها محمد عبدالكريم الخطابي. للمزيد ينظر: شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص92.

(1) محمد حواس، مرجع سابق، ص ص77–78.

(2) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص22.

في أيام العطلة الدراسية يقوم بدارسة تاريخ العرب في الأندلس؛ مما أدى لنمو عواطفه القومية واشتياقه لتاريخ أجداده العظيم الشيء الذي سيجعله فيما بعد سبباً غير مباشرا للانتقام من أعداء أمته[1].

وَمِنْ صِفَاتِهِ اَلْخِلْقِيَّةِ وَالْخَلُوقَةِ؛كان محمد بن عبد الكريم الخطابي رجل حر الضمير، قصير القامة، أسود العينين، حاد النظر، ذو شعر أسود ولحية خفيفة. يلبس العمامة والجلباب المغربي، يضع نظارات على عينه وتبدو عليه ملامح اللين والرقة، وكان ذا شخصية بارزة وإرادة قوية، يحب المبادرة ويكره التهاون في العمل، وثيق الايمان ديمقراطي النزعة[2].

وقد تولى محمد أبن عبدالكريم الخطابي عدة مناصب؛ فبعد تخرجه من جامعة القرويين ومكوثه في أجدير أخذه والده إلى مليلية في عام1907م، ولمعرفته الإسبانية وظف كمدرس للأطفال المغاربة فيها، ثم أستاذ للغة العربية للضباط الإسبان. ونظرا لثقافته وإمكانيته اشتغل بعدها كمستشار للشؤون الأهلية1909-1911م، وفي نفس الوقت كان يعمل في جريدة تلجرام ماديل الريف وساهم في إعدادها. وكما اهتم بالتنظيم العسكري والإداري للإسبان ووقف على أوضاعه وتعرف على حقيقته ووسائله، وبعدها عمل مستشارا في المحكمة العليا للجنايات خلال سنوات1911-1914م، ثم اشتغل منصب قاضي القضاة كآخر منصب له[3].

وقد اعتقلته السلطات الإسبانية بتهمة السياسة المناوئة لإسبانيا بعد اتصاله بالجنرال سيلفستر[*] في مليلية[4]، لمدة أربعة أشهر(04)، وذلك للضغط على أبيه حتى يكف عن الجهاد، لانهم كانوا يريدون أن يتوسعوا ويخرجوا من سبة ومليلية ليحتلوا باقي مناطق المغرب الأقصى الشمالية. وقد دبر والده لهروبه من السجن فوقع وأصابه كسر في احدى رجليه كان سبب عرج خفيف صاحبه طول حياته لكن الحظ لم يحالفه

([1]) رشدي الصالح ملحس، **سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، بطل الريف ورئيس جمهوريتها**، المطبعة السلفية، القاهرة،1343هـ(1924م)، ص ص25-26.

([2]) رشدي الصالح ملحس، المصدر السابق، ص27.

([3]) الحواس منصوري، **حرب الريف وأصداؤها في الجزائر(1921–1926)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،2011-2012م، ص33.

(*)**سيلفستر**: هو مانويل فرناندیز سلفستري، جنرال عسكري اسباني، ولد في مدينة El Caney بـكوبا، في16ديسمبر1871م، وكان حاكما عسكريا في منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب الأقصى. قُتل في شمال المغرب خلال موقعة انوال22جويلية1921م على يد الثوار بزعامة الأمير عبد الكريم الخطابي. و قد كان سلفستري أثناء حرب الريف القائد العام لسبتة بين1919-1920م، ومليلية بين1920-1921. ينظر: المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص29.

([4]) محمد حسن الوزاني، المصدر السابق، ص32.

وقبض الإسبان عليه وأعادوه إلى السجن حيث مكث أربعة أشهر(04) أخرى ليتم الإفراج عنه في شهر ماي1916م هذه الظروف جعلته يقتحم العمل السياسي والعمل على التعبئة الوطنية لتوحيد أهالي المنطقة[1].

ب– الزعامة والجهاد: بعد استشهاد والده في معركة مع الإسبان سنة1920م، وقيل أنه مات مسموما[*][2]، اجتمع رؤساء القبيلة الذي اطلق عليه اجتماع **"القامة"** لاختيار قاد لهم، وكان ذلك حسب ذكر الخطابي نفسه في15محرم134هـ/18سبتمبر1921م تم تعيين ابن عبدالكريم الخطابي خليفة لوالده[3]، وقد لقب بأمير الريف رافضا لقب السلطان، و زعيماً للثورة وقائداً للجهاد [4]. وبعد التعبئة الشعبية والاستعداد اتضح للأمير عبدالكريم أن الوقت قد حان للتحرك والكفاح المسلح ضد الاحتلال الإسباني؛ ولعل ّمن أبرز وأشهر المعارك[**] التي قادها الخطابي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– معركة أدهار أبران: سميت معركة "أدهار أبران" أو معركة "ظهر أوبران" نسبة إلى جبل أبران، وهو جبل استراتيجي يقع في منطقة الريف شمال المغرب، ويبعد عن بلدة أنوال قرابة 9 كلم، يشرف الجبل على من وادي "أكرامواس"، وهي معركة وقعت في يوم1جوان1921م[5] بعد محاولة القوات الاسبانية بقيادة الجنرال سيلفيستر احتلال جبل ابران، وقد تكونت هذه القوات من عشرين(20)ألف جندي إسباني، وأربعة(04)آلاف من المرتزقة[6]، وتركزت تلك القوات في معسكرات استراتيجية عند الجبل. ولم يقم الأمير عبدالكريم الخطابي بأي رد فعل في تلك الفترة، بل انتظر حتى الليل وقام بتنظيم المجاهدين وتقسيمهم إلى مجموعات لكي يتمكن من محاصرة العدو، وبالفعل شن المجاهدون غارة قوية من ثلاث جهات(من الغرب، والشرق، ومن الشمال) والتي كانت قد أحاطت بالمعسكر الاسباني، وانتهت المعركة لصالح الثوار بعد ساعتين من الاشتباك[7]، وكانت

([1]) محمد بن موسى الشريف، **عظماء منسيون في التاريخ الحديث**، دار الأندلس الخضراء،2010، ص ص 68–69. وأيضا: عبدالله كنون، **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، المجلد الخامس، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني والتوزيع، القاهرة– لبنان، 1994، ص6.

([*]) **ما يجب الإشارة إليه في هذا الأمر: "إن ريفياً عميلاً للإسبانيين يدعى عبدالسلام التفرسيتي؛ هو الذي سممه تنفيذاً لما قرروه من اغتيال جميع الشخصيات المناوئة لهم"**. ينظر: محمد حسن الوزاني، المصدر السابق، ص35.

([2]) محمد بن موسى الشريف، المرجع السابق، ص69.

([3]) محمد العربي المساري، **محمد بن عبدالكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت،2012م ، ص32.

([4]) محمد حسن الوزاني، مصدر سابق، ص375.

([**]) أشهر المعارك ومناطقها، التي قادها محمد بن عبدالكريم الخطابي؛ هي بالملحق رقم:05.

([5]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص38.

([6]) محمد حسن الوزاني، مصدر سابق، ص49.

([7]) عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص 255.

حصيلتها استشهاد أربعة(04)مجاهدين فقط، بينما قُتل بها نحو1000جندي إسباني[1]، وهناك احصائيات أخرى، قُتل من القوات الإسبانية أزيد من150منهم 24 من الإسبان، بينهم 6 ضباط، وجرح من قوات المعسكر59، بينهم 24 إسبانيا، بينما استطاع الباقون الفرار. وبحسب التقرير الذي أعده سلفستري في 8جوان1921م، فإن الثوار قد استطاعوا اغتنام: أربعة مدافع، و300 بندقية، و60 ألف خرطوشة، و360 قنبلة مدفع، إضافة إلى عدد من الخيم والأدوية والأغذية. فكان دحر القوات الإسبانية عن قمة جبل أوبران نصرا فريدا من نوعه، وسببا في رفع معنويات الثوار والسكان وإشعال حماسهم. وبعد هذا الانتصار شن الثوار هجوماً على مواقع الإسبان في سيدي إدريس يوم15جوان1921م، لكنه لم يكلل بالنجاح، ووقعت بعض الخسائر في صفوف الثوار بسبب القصف المدفعي المسلط من البارجات البحرية والطائرات الإسبانية.

– **معركة إغريبن:** بعد تحرير المناطق القريبة من أنوال شمالا (سيدي إدريس)، وغربا (قمة أوبران)، لم يبق غير الجهة الجنوبية. وفي عملية إعادة تموضع دفاعي أواخر شهر جوان1921م انسحبت القوات الإسبانية من بلدة أمزاورو فعبرت مجموعة من المجاهدين وادي أمقران وتمركزت في أمزاورو. وهناك تم نقل غرفة العمليات الثورية التي كانت في جبل القامة لتصبح أمزاورو المركز الجديد للثوار. وقد حاول الإسبان منع الثوار من التمركز في هذا المركز بالقصف المدفعي إلا أن المجاهدين عمدوا إلى حفر الخنادق ليلا والتراجع نهارا، إلى أن أصبح المكان موقعا محصنا بشكل جيد. وفي يوم17جوان سيطرت قوات إسبانية على موقع "إغريبن" المتواجد بتمسمان والذي يبعد عن أنوال حوالي6كلم واتخذت منه مركزاً لقواتها بتعداد500جندي تحت قيادة المدعو"بنيتيز"، وعلى أثرها حول الثوار تحريره بعد الحصار والعديد من الهجومات والمناوشات تمكن الثوار في الأخير من السيطرة على جبل إغريبن بتاريخ21جوان وانسحاب القوات الاسبانية باتجاه أنوال[2].

– **معركة أنوال:** بعد تلك الهزائم التي لحقت بقوات الجنرال سيلفستري أضطر إلى تركيز قواته في أنوال، ونتيجة الحصار المضروب على قواته هناك، والذي حاول في العديد من المرات فكه إلا أنه فشل، وبعد هجومات متوالية من طرف الثوار، مما أضطره في الأخير الانسحاب[*][3] في يوم25جويلية على الساعة العاشرة صباحا بعد تدمير معظم الآليات العسكرية، وتم الانسحاب بشكل فوضوي دفع عنها الإسبان ثمنا غاليا، حيث تفرقت قواتهم في الأودية الريفية، ووقع العديد منها في كمائن الثوار، كما أنهم تعرضوا لخسائر كثيرة بسبب مناوشات

([1]) محمد حسن الوزاني، مصدر سابق، ص50.

([2]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص ص (40-46).

([*]) يُذكر أن سلفستري أنتحر قبل بداية سحب القوات من أنوال. وهناك من يقول أنه كان يراقب انسحاب الجيش من أنوال على قمة مرتفعة برفقة الكولنيل موراليس، وهناك لمحه أحد الأهالي المسلحين، فتسلل نحوه وأطلق عليه النار فأرداه قتيلا. على إثر ذلك قام الكولونيل موراليس بالفرار غير أنه لقي مصرعه هو أيضا على أيدي الأهالي المسلحين. ينظر: المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص47.

([3]) شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص94.

المرتزقة والسكان المجاورين. ولم يبق داخل معسكر أنوال إلا كتيبة من الجنود تدعى فرقة"كاسادوري دي الكنترا" يقودها المدعو "نافارو"، الذي كان قد أُوكل إليها مهمة تغطية الانسحاب، حيث توجهت صوب بلدة بوفرقوش، ثم بلدة الدريوش فتزطوطين، لتستقر أخيرا في معسكر العروي يوم 29جويلية، وقد وصل عدد الجنود الذين انسحبوا من أنوال وبقية المراكز الإسبانية واستقروا في هذا المعسكر إلى قرابة03 آلاف جندي، ومن بينهم70ضابطا[1].

وقد تحصنت القوات المنسحبة من أنوال في مركز العروي إلا أن قوات الثوار حارصتها لمدة عشرة أيام، وبعد فقدان الماء والطعام، انهارت القوات المتمركزة هناك معنويا وماديا، فقبل الجنرال نافارو التفاوض مع الثوار، و وصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بضمان انسحاب المحاصرين بأمان والتحاقهم بمليلية مع ترك جميع أسلحتهم داخل المعسكر. لكن عند تنفيذ هذا الانسحاب يوم 12أوت، قام بعض الجنود الإسبان بإطلاق النار على بعض المجاهدين، وكان رد هؤلاء مدمرا، حيث أجهزوا على كل الجنود المتواجدين بالمعسكر، وكانت الحصيلة أزيد من ألفين (2000) قتيل بين الإسبان، و70من المجاهدين، وتم أسر أزيد من 400آخرين من بينهم نافارو نفسه. ولم ينج في هذا الانسحاب الانتحاري سوى الضابط لويس كاسادو ايسكوديرو، وعشرة(10) جنود[2].

وإجمالا كانت خسائر الإسبان في هذه معارك الانسحاب فادحة بأتم معنى الكلمة، وكانت غنائم الثوار كبيرة وعظيمة، وفي هذا الصدد يقول الخطابي: "**ردت علينا هزيمة أنوال 200مدفعا من عيار 75 أو 65 أو77، وأزيد من 20 ألف بندقية، ومقادير لا تحصى من القذائف وملايين الخراطيش، وسيارات وشاحنات، وتموينا كثيرا يتجاوز الحاجة، وأدوية، وأجهزة للتخييم، وبالجملة، بين عشية وضحاها. وبكل ما كان يعوزنا لنجهز جيشا ونشن حربا كبيرة. وأسرنا 700 أسير، وفقد الإسبان15ألف جندي ما بين قتيل وجريح** ". بينما يقدر المؤرخ الإنجليزي روبرت فورنو الخسائر الإسبانية في هذه المعركة على الشكل التالي: "**18000 قتيل، وفي مقدمتهم قائد الحملة الجنرال سلفستري (لم يعثر أحد على جثته، كما أنه لم يعثر عليه حيا)، و1100 أسير، وفي مقدمتهم الجنرال نافارو، اغتنام 19504 بندقية و352 رشاشا و129 مدفعا، إضافة إلى المواد العسكرية الأخرى كالملابس والخيام والعربات والتغذية**"[3].

([1]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص47.

([2]) نفسه، ص50.

([3]) نفسه، ص51.

ويُرجع شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم، في كتابهما" تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر"، العوامل التي ساعدت الأمير الخطابي على تحقيق هذا النصر على الإسبان إلى ما يلي[1]:

1- الاستعانة بالأسلحة الحديثة التي حصل عليها من الأوربيين. هذا بالإضافة إلى الأسلحة والاموال التي حصول عليها مقابل إطلاق الأسرى.

2- طبيعة المنطقة التضاريسية هناك جبال و وعورة مسالكها.

3- عدم التنسيق بين القيادات الإسبانية مثله قيام الجنرال سيلفستري بالهجوم من مليلة على مناطق الريف دون استشارة القائد العام للقوات الإسبانية في المغرب.

4- انعدام التحصينات الدفاعية في المراكز التي أنشأتها القوات الإسبانية.

وتعتبر معركة أنوال من الوقائع المشهورة في ذاكرة تاريخ المغرب الأقصى[2]، خلالها أباد الأمير عبدالكريم الخطابي الحملة الإسبانية بأسرها، ومن ذلك الوقت ذاعت شهرة الأمير وسلمت له قبائل الريف الأخرى بالزعامة، سبق ذكره، وعُدة معركة بوابة التحرير لمعظم الشمال المغربي، و وصفت بأنها:" **معركة شديدة، لم يسبق لها مثيل في جميع المعارك التي خاضتها اسبانيا منذ دخولها الشمال المغربي**"[3] .

ولم يبق من أراضي إقليم الريف بيد المحتلين إلا مدينة مليلية التي أصبحت مؤكدة السقوط في أيدي القوات الريفية لو أقدمت على اقتحامها، إلا أن الأمير الخطابي آثر عدم تحريرها لأسباب متعددة[4]؛ ومنها افتقار القوات الريفية لوسائل الدفاع البحري على حسب تفسير شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم. وقد رصد هذان البحاثان في كتابهما تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر مختلف التفسيرات حول عدم إقدام الخطابي على احتلال مدينة مليلية والقضاء على القوات الإسبانية بها:

- أن الأمير أدرك أن قواته في حاجة على إعادة التنظيم.
- خشيته من تفكير الإسبان في الانتقام في وقت لم يكن هو فيه على استعداد لتوسيع عمليات القتال.
- خوفه من إحداث نوع من العداء الأوربي ضده؛ وخصوصا من جانب بريطانيا التي كان يطمع في الحصول على تأييدها لتحقيق استقلال الريف.

([1]) شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص95-96.

([2]) محمد بلقاسم، **وحدة المغرب العربي فكر وواقعا: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي**، الجزء الأول، ط1، البصائر الجديدة، 2013، ص175.

([3]) محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص110.

([4]) نفسه، ص148.

- وكان يعتقد أن الاسبان سوف يسعون إليه لعرض شروط الصلح بالطريقة التي يفرضونها بعد هزيمتهم في أنوال.

وعلى العموم؛ فإن عدم إقدامه على تحرير مليلية كان خطأً استراتيجيا كبيراً لو أحسن استغلالها لاستطاع القضاء على بقية القوات الإسبانية، ولكنه أعطى فرصة للإسبان لكي يعيدوا تنظيم قواتهم[1]، ومن هنا ظلت مسألة عدم الهجوم على مليلية وتحريرها سلبية حتى الآن؛ فيما أصبحت بعد مدة مركزاً لتجميع القوات الإسبانية ومعاودة الهجوم المضاد في السنوات اللاحقة حتى عام1926م.

ومن جهة أخرى اعترفت القيادة الاسبانية آنذاك بمقدرة قوات الخطابي على اقتحام مليلية؛ فقد جاء في تصريح المقيم العام الإسباني الجنرال بيرنجر قوله:" **في إمكان المورو– المغاربة– اقتحام المدينة في هذه اللحظة بالذات**". وقد علق الجنرال كابنياس أحد القواد الإسبانية بمقدرة القوات الريفية على اقتحامها قائلاً:" **لم يبق بيدنا إلا مدينة مليلية وذلك لأن رئيس بني ورياغل لم يرغب الاستيلاء عليها**"[2].

ولقد كان لمعركة أنوال أثرها على الوضع السياسي الداخلي لإسبانيا، فقد كانت سببا في استقالة الحكومة الاسبانية في10أوت1921م، وفي أحداث الانقسام بين العسكريين، وطلب ملك إسبانيا الفرنسو الثالث عشرAiph.Ense Xiii إلى مورا Malera تأليف وزارة جديدة، فيما ارتفعت الأصوات المناوئة للحرب والمطالبة بالجلاء عند المغرب على ضوء الخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات الإسبانية في المغرب[3]. ومن جهة أخرى كان لها صدى على المستوى المحلي إذا ابتهج الريف المغربي بهذا الانتصار وأيقن أن بإمكانه الوقوف في وجه الاستعمار الأجنبية مهما كانت عدته. وأحدثت تماسكاً داخلياً أقوى وراء الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي وانحسرت الحدود القبلية بشكل أكبر من السابق، وأخذ الشعور المحلى والوطني العام يحل محل النزعة القبلية وبدأت الوحدة الشعبية في إقليم الريف تظهر بقيادته، وكان من نتيجة ذلك تأسيس جمهورية يرأسها الأمير بن عبدالكريم الخطابي، وذلك في19سبتمبر1921م[4]، ونظم حكومته وكانت عاصمتها "أغادير" بعد توحيد القبائل العربية تحت قيادته، كما أرسل وفدا إلى أوربا وفرنسا وإنجلترا للدعاية لقضية جمهورية الريف التي من خلالها تمكن الأمير من صد هجمات الإسبان حيث وقع انقلاب في اسبانيا

(1) شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص96.

(2) محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص148.

(3) نفسه، ص150. وأيضا: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مصدر سابق، ص145.

(4) محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ص149-150.

أدى إلى تغير في سياستها داخل المغرب، والانسحاب منذ أواخر عام 1924 م من المناطق الداخلية والاحتماء بخط دفاعي[1].

ج- تأسيس الجمهورية الريفية(1921-1925): ففي أول اجتماع لمجلس الشعب[*]، هذا الأخير أُعتبر صوت القبائل المجاهدة في سبيل الاستقلال اتخذ قرار إعلان استقلال الريف، وتكوين حكومة دستورية برئاسة الأمير ابن عبدالكريم كزعيم الثورة وقائد الجهاد، وهذه الحكومة المحلية اقتضتها التنظيمات الثورية وضرورات الحرب التحريرية وشتى الاعتبارات السياسية والديبلوماسية، ومتطلبات الدعاية لقضية التحرير في العالم[2]. وفيما يخص نظام الحكم في الريف زمن الثورة؛ فيقول محمد حسن الوزاني في مذكراته حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية-2- حرب الريف: " **ليس من شك في أن القيادة أعلنت ما سمي آنذاك "بالدولة الجمهورية الريفية"،وذلك في30جمادى الأول1341هـ، وقيل في14 أو15جمادى الثانية من نفس السنة الموافق لـ18يناير أو27-28فبراير1923م ليس من شك كذلك في أن الجمهورية المعلنة رسمياً وقتئذٍ لم تكن في حقيقتها ونظامها، ولا في شكلها وجوهرها شبيهة بالجمهورية كما عرفت في أوربا، وإنما كانت عنواناً ولقباً لنوع الحكم القائم يومئذٍ في الريف لا أقل ولا أكثر، ولهذا كانت شيئاً محلياّ وخاصاّ بأوضاع الريف الاجتماعية والسياسية، وكذلك بالعادات والمفاهيم السائدة هناك. وفي الواقع، لم تكن مدلولهم إلا (اتحاداً للقبائل المتكتلة) للجهاد تحت قيادة رؤساء الثورة**". وعليه فتأسيس مجلس الشعب هدفه تنظيم ثورة الريف وإقامة حكومة سياسية لتمثيلها.

وقد شرعت الجمعية الوطنية أو التي يُقصد بها مجلس الشعب، في وضع ميثاق قومي يكون المثل الأعلى للشعب في جهاده ونضاله؛ فأقرت بعد جلسات متتالية الميثاق القومي الآتي[3]:

- عدم الاعتراف بكل معاهدة لها مساس بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة1912م.

([1]) إسماعيل أحمد ياغي، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، قارة افريقية**، دار المريخ للنشر، الرياض،1993، ص154.

([*]) **مجلس الشعب**: ويُقصد به الجمعية الوطنية أو المجلس العام، يتكون من الاعيان والمشايخ والولاة، هدفها تنظيم الجهاد الوطني وإدارة شؤون البلاد. عقدت الجمعية الوطنية الريفية اجتماعها الأول تقرر خلاله اعلان استقلال البلاد وتشكيل حكومة دستورية يتولاها الامير محمد بن عبدالكريم زعيم الثورة وكان هذا في سبتمبر1921م.

ووضعت الجمعية دستوراً للبلاد مبدؤه سلطة الشعب، وجعل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في يد الجمعية الوطنية. أما الوزارة فقد نص الدستور على تشكيل أربعة مناصب منها فحسب وهي مستشار رئيس الجمهورية،- وهو يقوم مقام رئيس الوزارة- ، ووزير الخارجية، و وزير المالية، و وزير التجارة وبقية الأعمال كالداخلية والحربية فقد جعلها الدستور من خصائص رئيس الجمهورية. ينظر للمزيد: رشدي الصالح ملحس، المصدر السابق، ص ص31-32.

([2]) محمد حسن الوزاني، مصدر سابق، ص375.

([3]) رشدي الصالح ملحس، مصدر سابق، ص32.

- جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل إبرام المعاهدة الاسبانية الفرنسية سنة1912م، فلا سيبقى لإسبانيا سور سبتة ومليلة وما جوارهما.
- الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية.
- تشكيل حكومة جمهورية دستورية.
- أن تدفع اسبانيا تعويضا للريفين عن الخسارة التي لحقت بهم من جراء الاحتلال في السنوات الأثني عشرة12 سنة الماضية، وفدية للأسرى الذين وقعوا في يدهم.
- انشاء علائق ودية بين كافة الدول بدون ما تمييز وعقد تحالفات تجارية معها.

وعن علم الجمهورية الريفية كما جاء في اجتماعات الجمعية اختير علماً لدولتهم أرضه حمراء وفي وسطه نجمة خضراء سداسية ضمن هلال في رقعة بيضاء. ونص دستور الدولة على جعل أجدر عاصمة للجمهورية الريفية ومعسكراً لجيشه[1].

4- التدخل الفرنسي في حرب الريف: لقد كان لمعركة أنوال وحرب التحرير التي قادها الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي صداها لا في المغرب وحسب، وإنما في عموم المغرب العربي، وأيقنت فرنسا أن مصيرها في المغرب العربي متعلق بالحرب الإسبانية فانتصار هذه القوة الفتية لابد أن يدفع بالمغاربة جميعاً إلى التضامن والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي[2]. منذ عام1921م بدأ الموقف الفرنسي المعادي لثورة الريف المغربية يأخذ أبعاداً سياسية واقتصادية وعسكرية في مراحله الأخيرة، أدت في النهاية إلى العدوان على جمهورية الريف التي أنشاها محمد بن عبدالكريم الخطابي، ومن ثم القيام بالتحالف مع إسبانيا منتصف عام1925م والقضاء على جمهورية الريف في منتصف عام1926م[3].

وبعد إدراكهم بانتصارات القوات الريفية على القوات الإسبانية، بدأت فرنسا في جنوب الريف المناطق المحاذية بإقامة التحصينات العسكرية ودفع المزيد من قواتهم إلى هذه الجهة، إلا أن الأمير استمر على سياسة عدم الاصطدام العسكري بهم، وفي سنة1925م أدركت القيادة الريفية أن إرجاء مهمة تحرير الجزء الجنوبي لريف سيضعف هيبة القيادة الريفية وعلى هذا اتخذت القيادة الريفية قرار فتح الجبهة الجنوبية والرد على العدوان الفرنسي[4].

([1]) رشدي الصالح ملحس، مصدر سابق، ص33.

([2]) محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص110.

([3]) نفسه، ص151.

([4]) محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ص170-171.

وفي شهر13أفريل1925م قامت القوات الريفية بهجوم واسع النطاق على طول الجبهة الجنوبية والرد على العدوان الفرنسي، وحققت العديد من الانتصارات" معارك البيبان- ومعاك الكيفان"؛ وكادت أن تحرر عاصمة "فاس"، وفي هذه الفترة ادعت فرنسا رغبتها في الصلح وإبرام مفاوضات مع القيادة الريفية إلا أن محاولتها فشلت لإصرار ممثل السلطات الفرنسية كما فعلت اسبانيا[1].

ولم يكن هذا الموقف الفرنسي إلا محاولة لكسب الوقت والاستعداد العسكري المكثف للقضاء على ثورة الريف ولم يقف المجهود الفرنسي المعادي لدولة الريف عند حدود العدوان فقط بل دخلت فرنسا في الوقت نفسه بمباحثات مع اسبانيا لتوحيد الموقف العسكري والسياسي والاقتصادي للقضاء بصورة مشتركة على ثورة الريف في منتصف 1925م[2]، حيث أدى صمود الريفيين وقدرتهم على مواجهة التحدي الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى لقاء فرنسي اسباني؛ وبمبادرة فرنسية منذ17جوان ولغاية25جويلية1925م تمخضت عنخ خمس اتفاقيات عسكرية وسياسية واقتصادية، وفي أواخر شهر أوت وضع الاتفاق العسكري حيز التنفيذ إذ قام الطرفان بهجوم من الشمال الجنوب، وتواصلت الهجومات خلال شهر سبتمبر كان آخرها هجوم13سبتمبر بقوات مشتركة تعدادها280ألف جندي، في حين لم يتجاوز الجيش الريفي60ألف مقاتل؛ وقد استخدم فيه الطائرات والبوارج الحربية والمعدات الثقيلة؛ وفي الأخير استطاعت القوة المشتركة من احتلال أغادير عاصمة دولة الريف، ورغم هذا المكسب إلا أنهم أخفقوا في القضاء على الثورة[3]، ثم شرع الأمير عبد الكريم الخطابي بهجوم كبير وقد اتسع نطاق العمليات الحربية في الجنوب خاصة، مما اضطر المقيم العام الفرنسي تيوردور سطيكَ (*) الطلب من حكومته ضرورة فتح باب المفاوضات مع الأمير الخطابي، ولم يبعد الأمير على باب المفاوضات إلى أن انعقد مؤتمر وجدة، والذي كان يتضمن ما يلي:

- تعترف القبائل الريفية وقبائل جبالة (**) لسلطة سلطات المغرب وتعدل عن فكرة تعيين ممثلين لها في البلاد الأجنبية.

([1]) محمد علي داهش، محمد بن عبد الكريم الخطابي: صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، مرجع سابق، ص217.

([2]) علي المحجوبي، **العالم العربي الحديث والمعاصر "تخلف فاستعمار فمقاومة"** ، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009، ص141.

([3]) محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ص 172-173.

(*) تيوردور سطيكَ: هو ثاني مقيم عام للمغرب خلال الفترة1925-1929م خلفا ليوطي في منصب الإقامة، وكان عضوا للجمعية الوطنية عن النهر السين، والوالي العام السابق بالجزائر، و وزيراً، وعضوا في الحزب الراديكالي الاشتراكي، وعليه تميز بشخصية قنصلية وازنة. وعندما تسلم سطيك مهامه بالرباط كانت حرب الريف مازالت قائمة. للمزيد أنظر: جورج سبيلمان، المرجع السابق، ص45.

(**) جبالة: هو إقليم يقع إلى غرب من الريف وإلى الجنوب من طنجة، يمتاز بقلة تضاريسه المعقدة وسهولة المواصلات في ضواحيه، يمتد بين شواطئ غمارة وضواحي تطوان وشمالي شفشوان إلى شاطئ المحيط الأطلسي بين العرائش والقصر الكبير. للمزيد أنظر: محمد محمود الصياد، **معالم جغرافية الوطن العربي**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص189.

- نزع السلاح من الريفيين وتجريدهم من المواقع ويستعاض عن الجيش بتشكيلات عسكرية تتولى اسبانيا وفرنسا مراقبتها.
- ترحيل الأمير الخطابي من الريف[1]؛ وقامت السلطات الفرنسية بترحيله إلى جزيرة رينيون La Reunun بالمحيط الهندي في27 أوت 1926م[2].

وواضح من هذه الشروط، فرض الاستسلام على الخطابي وإنهاء ثورة الريف، وقبل أن يرد الوفد الريفي على شروط المستعمرين كان الطرفان الاستعماريان قد أكملا استعداداتها العسكرية والتموينية فنجح الطرفان في محاصرة ثورة الريف من الشمال والجنوب، إلا أن استسلام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي للفرنسيين في27 ماي1926م ، ولم يكن استسلامه ضعفا بل كان وعيا عاليا بالمسؤولية تجاه الشعب خوفا عليه من الإبادة الجماعية أمام الآلة الحربية الاستعمارية[3]، وهنا نورد اعترافا، و وصفاً لشخصية محمد بن عبدالكريم الخطابي من طرف جورج سبيلمان، إذ يقول: **"هذا الرجل القصير القامة والمبهم ضدنا طوال أربعة عشر شهراً أخذت من نفوذنا مأخذاً، فقد أدت تلك إلى انهيار أسطورة فرنسا المنيعة التي لا تقهر في أعين المغاربة وأفل نجم ليوطي الرجل المتبصر الذي لا يخطئ"**[4].

وفي الختام نقول أن الثورة الريفية من أكبر الثورات التي اندلعت ضد الاستعمار الاسباني ثم ضد الاسباني الفرنسي، وكانت أكثر تنظيما من الناحية السياسية والعسكرية، وتمكنت في العديد من ثوراتها ضد المستعمر من ألحاق هزائم هامة وكبيرة، وهذه الانتصارات تحققت بعد أن تمكن الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي من توحيد مختلف قبائل الريف وحشد كل القوات المادية والمعنوية في الحرب، لكن في النهاية وبالنظر لعدم التكافؤ في القوى القتالية هذا من جهة، وتحالف فرنسا وإسبانيا من جهة ثانية لم يستطع الأمير مواصلة الجهاد واستسلم في الأخير؛ وباستسلام عبدالكريم الخطابي انتهت المقاومة الشعبية المسلحة المغربية، لتبدأ بعدها إرهاصات الأولى للحركة الوطنية المغربية.

([1]) أحمد إسماعيل راشد، **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر "ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا"**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت،2004، ص215.

([2]) محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص181.

([3]) محمد علي داهش، صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، المرجع السابق، ص227.

([4]) جورج سبيلمان، مرجع سابق، ص38.

خاتمة

وفي الأخير، وبعد الإلمام بالموضوع توصلت الى مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات، وهي:

- شهد المغرب الأقصى تنافساً استعمارياً أوربياً مع منتصف القرن 19م وبداية القرن20م؛ في ظل ما أحدثته الثورة الصناعية في أوروبا، وبالنظر أيضا لموقعه الاستراتيجي.
- وقعت فرنسا العديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع مختلف الدول الأوربية المنافسة لها حول المغرب الأقصى ممهدة بذلك السيطرة عليه وفرض الحماية عليه.
- أجبرت فرنسا السلطاني المغربي عبدالحفيظ على التوقيع على معاهدة الحماية في12مارس 1912م، لأجل لبدأ التوسع العسكري الفعلي في أراضي المغرب الأقصى.
- وما زاد الطين بلة؛ لما دخلت فرنسا في محادثات سرية مع إسبانيا توجت بالتوقيع على معاهدة ثنائية في27نوفمبر، وتم بموجبها الاتفاق على تقسيم المغرب إلى مناطق نفوذ ورسم حدود كل منها لتتفرغ كل واحدة لبسط نفوذها في مناطق نفوذها: – منطقة الشمال المغربي الخاصة بإسبانيا، وتسمى المنطقة الخليفية. ومنطقة الحماية الفرنسية" المنطقة السلطانية"، وهي الأوسع . والمنطقة الثالثة والأخيرة؛ وهي منطقة طنجة الدولية، وبها نظام دولي خاص.

- وعلى أثر هذه **المعاهدات والاتفاقيات**؛ اندلعت **ثورات وانتفاضات** شعبية لأجل الاستقلال والحرية، لم تستسلم إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل المتاحة، والتي خاضتها **مختلف القبائل الجنوب المغربي، وفي جبال الريف والأطلس المتوسط والكبير**. وكانت فاتحة هذه المقاومات الأحداث الدامية لفاس أو ثورة فاس1912م والتي كان صداها المحلي كبيرا جدا في نفوس المغاربة، ولها مكانة هامة في تاريخ المغرب الأقصى المعاصر.

- المقاومة في الجنوب المغربي:

– تزعمها المقاومة أحمد الهيبة بن ماء العينين في عام1912م ،لكنه انهزم لضعف عدد جنوده وعتادهم الحربي أمام القوات الفرنسية، وانسحب إلى الجنوب وتابع المقاومة حتى توفي سنة 1919م، وتابع المقاومة أخوه مربيه ربه إلى 1934م.

- وهي مقاومة كان أساسها الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى النعرة الوطنية والتصدي للمستعمر الكافر، والتي أستطاع الهيبة من خلالها استقطاب الفقهاء، وبعض مشايخ الطرق الصوفية.

– حققت ثورة الهيبة العديد من المكاسب على الرغم من انهزامه في الكثير من معاركه حتى استشهاده في عام1919م، ليأتي خليفته أخوه الشيخ مربيه ربه الذي اتصف تتصف بالحنكة والدهاء السياسي والشجاعة،

الذي تمكن من لمل شمل القبائل وحملها على الجهاد بعد فض النزاعات بينها معتمدا في هذا على استراتيجية تنظيمية تقوم على إعادة تنظيم صفوف القبائل وفضي نزاعاتها، والتأثير عليها للوقوف في وجه الاستعمار لكن في الأخير لم يستطع مواصلة الجهاد وهذا بعد استسلام جميع قبائل السوس تقريبا في عام1934م، وانسحابه إلى منطقة طرفاية بالصحراء الغربية مواصلا جهاده ومقاومته للاستعمار بالقلم والعلم والتأليف.

– **المقاومة في الأطلس المتوسط والكبير**: لقي الاستعمار الفرنسي في الاطلس المتوسط والكبير مقاومة عنيفة من طرف قبائلها؛ إذ شهدت هذه المناطق العديد من المقاومات الشعبية؛ ولعل أبرزها مقاومة قبائل زيان بقيادة موحا وحمو الزياني(1914–1921). و مقاومة آيت عطا(1929–1933)م بقيادة المجاهد عسو أوبسلام.

– مقاومة موحا أوحمو الزياني، والتي اندلعت في عام1912، وزادت حدتها لما أقدمت القوات الفرنسية لاحتلال مدينة الخنيفرة في 1914م، وتمكن موحا من ألحاق العديد من الهزائم على القوات الفرنسية منها: معركة الهري في 13نوفمبر في نفس السنة، و معركة "تاغزوت" في تاريخ15جوان1916م. لكن في الأخير تمكنت القوات الفرنسية من دحره ليضطر في النهاية الاحتماء بالجبال مع أتباعه إلى غاية استشهاده في1921م.

– ومقامة مقاومة قبائل آيت عطا في مناطق مختلفة من الاطلس بالجنوب المغربي بقيادة المجاهد التوزونيني، والمجاهد عسو أو بسلام؛ الأولى اندلعت في عام1918م، والتي حقق من خلالها العديد من الانتصارات على المستعمر الفرنسي ولعل اهمها: معركة البطحاء(كاوز). والثانية في عام1929م، والتي استمرت إلى غاية1933م؛ ومن معاركه ضد المستعمر الفرنسي معركة بوغافر13فيفري–24مارس1933م التي حقق من خلالها انتصارا كبيرا غير أنه في الأخير استسلم بعد الحصار الكبير الذي فرضته القوات الفرنسية على قواته بالنظر إلى التفوق العسكري الفرنسي عدة وعتادا على قوات اوبسلام.

– **المقاومة في الريف المغربي**: بعد سيطرت الإسبان على الريف، ظهرت مقاومة منظمة تزعمها في البداية عبد الكريم الخطابي قاضي بني وريغل، ثم بعده ابنه محمد بن عبد الكريم، الذي ربط كفاحه بكفاح الشعوب التي تخوض الحروب التحررية، واعتبر تحرير الريف مرحلة أولى لتحقيق استقلال المغرب.

– اندلعت الثورة الريفية في الجانب الشرقي من الشمال المغربي المعروف بإقليم الريف وهي حركة ثورية منظمة وواعية للكفاح المسلح ضد القوات الإسبانية انطلقت بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي لم يستسلم للعدو ولم يرض بالاستعمار.

- شهدت منطقة الريف العديد من المعارك ولعل من أشهرها معركة أنوال التي حققت انتصارات كبيرة على الإسبان هذه المعركة التي نفخت الروح في النفوس وأحييت الضمائر ومهدت السبيل ورسمت الاتجاهات للجيل الناهض.
- وهي ثورة من أبرز الثورات التحريرية في المغرب الأقصى، فقد استطاع بقواته الانتصار على الاسبان في معركة " أنوال" وطهر بلاد الريف من معظم المراكز العسكرية الإسبانية، لكن الإسبان اتفقوا مع الفرنسيين على ضرب ثورة الخطابي والاشتراك معا في القضاء عليها، واضطر في الأخير إلى تسليم نفسه سنة 1925.
- والشعب المغربي مدين للثورة الريفية بما أحدثته من أثر فعال في نهضته الوطنية وحركته السياسية فالمغاربة قد قاموا أولا على شكل مقاومة قبلية مفككة تطورت إلى حركة سياسية خلال مرحلة الثلاثينيات هذه الحركة لم تُصْنَع فجأة بل استلهمت درسها من المقاومة الريفية، وبرزت إلى الوجود بفضل جهود السياسيين الذين ناضلوا بالكلمة والقلم وأوصلوا صوت الحركة الوطنية المغربية في الداخل، والعالم الخارجي.

والحقيقة التي لا يجب أن نغفلها هي أن هذه الثورات الشعبية المختلفة رغم تحقيقها للعديد من الانتصارات على القوات الفرنسية، أو على القوات الإسبانية في منطقة الريف كانت تفتقر إلى التنسيق فيما بينها؛ فقط اندلعت في مناطق متفرقة وتمكنت قوات المستعمر من اخمادها في مهدها وفي مناطقها هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية كانت هذه الثورات تفتقر إلى الأسلحة ونوعيتها فالمستعمر كانت مسلحا بأحدث الأسلحة بطائرات ومدافع وغيرها في حين رجال المقاومات هذه كانوا مسلحين بأسلحة أقل تطورا.

الملاحق

الملاحق:

1- بنود الحماية "معاهدة الحماية الفرنسية "30 مارس1912" الملحق رقم01.

2- خريطة تمثل منطقة الشمال المغربي. الملحق رقم02.

3- نص الخطبة ليوم الجمعة26أفريل، بأمر من السلطان عبدالحفيظ الملحق رقم03.

4-خريطة تمثل مراحل الاحتلال الاستعماري و أهم معاقل المقاومة المغربية(1907-1934)م(بتصرف)
الملحق رقم04.

5- خرائط تمثل أهم المعارك التي قادها محمد بن عبدالكريم الخطابي الملحق رقم05.

الملحق رقم01: بنود الحماية "معاهدة الحماية الفرنسية 30 مارس 1912" [1].

بناء على اهتمام حكومة الجمهورية الفرنسية، وحكومة جلالته الشريفية بتأسيس حكم منظم في المغرب قائم على السكينة الداخلية،والأمن العام والذي من شأنه أن يساعد على إدخالالإصلاحات، وضمان نمو البلاد الاقتصادي اتفقت الحكومتان على المواد التالية:

المادة الأولى:

اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية مع جلالة السلطان على إنشاء نظام جديد في المغرب يسمح بالإصلاحات الإدارية، والقضائية، التربوية والاقتصادية، المالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في إدخالها إلى المغرب، وهذا النظام سيحترم الأنظمة الفرنسية، ويحافظ على مقام السلطان ومكانته المعتادة،وتطبيق الدين الإسلامي،وسيصون المؤسسات الإسلامية خصوصا مؤسسات الأحباس، كما أنه سيضمن تنظيم"مخزن شريفي" على أساس إصلاحي، ستتفاوض حكومة الجمهورية الفرنسية مع الحكومة الإسبانية فيما يتعلق بمصالحها المستمدة من موقعها الجغرافي، وممتلكاتها المتاخمة على الشاطئ المغربي،كما أن مدينة طنجة ستحتفظ بطابعها المميز المعترف لها به و الذي سيحدد نظامها البلدي .

المادة الثانية:

يقبل جلالة السلطان منذ الآنأن تشرع الحكومة الفرنسية بعد إعلان الهدنة مسبقافي الاحتلالات العسكرية التي تراها ضرورية لاستتباب السكينة، وتأمين المعاملات التجارية في

الأراضي المغربية،كما أنه يقبل أن تمارس الحكومة الفرنسية كل إشراف تقوم به برا، وضمان المياه الإقليمية المغربية .

المادة الثالثة:

تتعهد حكومة الجمهورية الفرنسية على أن تبدل لجلالته الشريفية تأييدا دائما ضد جميع الأخطار التي قد تهدد شخصه أو عرشه أو تقلق راحة ولاياته،وسيمنح وريث العرش وخلفاؤه من بعده التأييد ذاته.

المادة الرابعة:

سيصدر جلالته الشريفية القرارات بالإجراءات التي يتطلبها النظام أو من السلطات التي قد ينيبها عنه، طبقا لاقتراح الحكومة الفرنسية ستراعى نفس الطريقة في مسألة القوانين الجديدة، وفي تعديل القوانين المعمول بها.

المادة الخامسة:

ستمثل الحكومة الفرنسية عند جلالة السلطان بواسطة مندوب مقيم عام مخول جميع سلطات الحكومة الفرنسية في المغرب حيث سيسهر على تنفيذ هذا الاتفاق الحالي.

وسيكون المندوب المقيم العام الوسيط الوحيد بين السلطان والممثلين الدبلوماسين الأجانب، وبينهم وبين الحكومة المغربية في العلاقات التي لهم معها، وسيكلف على الأخص بجميع الشؤون المتعلقة بالأجانب في المملكة الشريفية، وسيخول باسم الحكومة الفرنسية سلطة المصادقة،ونشر القرارات الصادرة عن جلالته الشريفية.

المادة السادسة:

سيكلف ممثلو فرنسا الدبلوماسيون والقنصليون بتمثيل الرعايا المغربيين، وحماية مصالحهم في الخارج،ويتعهد جلالة السلطان ألا يوقع أي اتفاق ذي صبغة دولية دون موافقة مسبقة من الحكومة الفرنسية.

المادة السابعة:

تحتفظ حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالته الشريفة لنفسهما بحق تحديد باتفاق متبادل،أسس تنظيم مالي بضمان التزامات الخزينة الشريفة وجباية مداخيل المملكة بانتظام مع رعاية الحقوق المخولة لحاملي سندات الديون المغربية العمومية.

المادة الثامنة:

يصرح جلالته الشريفية أنه سيمتنعفي المستقبلأن لا يقبل هو أو مدرائه أي قرض عام أو خاص، وأن لا يمنح بأي شكل من الأشكال أي امتياز دون ترخيص من الحكومة الفرنسية.

المادة التاسعة:

سيقدم هذا الاتفاق الحالي إلى حكومة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليه،وستسلم وثيقة المصادقة المذكورة إلى جلالة السلطان بدون تأخير،وإقرارا بما جاء أعلاه حرر الموقعان الاتفاق الحالي ووقعاه بختمهما. فاس 11 ربيع الثاني سنة 1330هـ

الموافق لـ 30 مارس 1912م

---

[1] العربي الصقلي، **مذكرات التراث المغربي**، ترجمة: عبد الكريم حليم، ج5، هنري موراث للنشر، ص88.

الملحق رقم02:

خريطة تمثل اتفاق يوم27نوفمبر1912م لتقسيم المغرب الأقصى إلى ثلاث مناطق [1].

[1] Presidential Actions › ... › http://www.sahara-online.net، مرحبا بكم في بوابة الصحراء ، تاريخ الإطلاع:29-11-2021م، على الساعة 21س:00د المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية 2021 © جميع الحقوق محفوظة.

الملحق رقم03:

تقول تلك الرسالة :

«خدامنا الأرضين وخير أغوات العسكر السعيد وقواد سيدي وكافة العسكر. وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد

فقد رأيتم ما صدر من بعض العسكر من الطيش والهرج وما أداهم إليه زيغهم وخروجهم عن الطاعة من إيقاع الفتك بالحرابة وغيرهم حيث ما لقوهم بالطرق وفي محلات سكناهم وتعدى ذلك إلى التمثيل بجثثهم ونهب حوائجهم وسريان تلك الفتنة إلى الاعتداء على اليهود في ملاحهم والتعدي على الصاكة والبنك ونهب ما بهما وكل ذلك بغياً وعدواناً وزيغاً وطغياناً ومن غير مراعاة ما تلحقهم على ذلك من العقوبة ولا اعتبار بما يجري عليهم من الأحكام بل تسببوا بذلك إلى تعميم الهرج وإيقاد نار الفتنة التي قال الشارع في حقها الفتنة نائمة لعن الله موقظها.

بل لما ورد على جنابنا الشريف بدار المخزن بعضهم في خلال الهيعة وحال وقوع الطيش أمرناهم بملازمة الطاعة والإقلاع عن أسباب التشويش فلم يمتثلوا وارتكبوا ضد ما أمرناهم به من السكينة وهاجوا وماجوا حتى عمت المصيبة وشمل الفزع ولم يراعوا ما كابده الحرابة من السهر على تعليمهم وتدريبهم وتلقينهم دروس العسكرية النظامية التي صار لهم بها من الاعتبار والأهمية ما جعلهم معدودين من جملة العساكر التي تُقضى بهم المهمات ويعول عليهم في دفع الملمات. ولكن خاب الظن فيكم وأتيتم من منكر الفعل وقبيح العمل ما تخجل منه الوجوه وتسود به الصحائف وتلك عاقبة الجهل بعواقب الأمور.

وعليه فإن جنابنا الشريف باذل مجهوده في إرجاع السكينة إلى طورها وإلحاق العقوبة بمن يستحقها. ولتعلموا أنكم عسكر جنابنا الشريف وقوة المخزن وخدام مصلحة البلاد والعباد وأن جنابنا الشريف على اتحاد تام مع الدولة الفرنسوية ومحبة أكيدة وأن كل ما يصدر من أحدكم من الأمور المذمومة فهو ضد إرادة جنابنا الشريف وخلاف مقصود المخزن ونقيض مصلحة الأمة والوطن.

وبناء على ذلك نأمركم بملازمة الحد والتمسك بالطاعة والمحافظة على السكينة والتمشي على طبق ما يقتضيه القانون العسكري وما يرشدكم إليه حرابتكم حتى تبرهنوا بحسن سيرتكم على أن العقلاء منكم غير راضين بما صدر من الجهلاء وتمحوا حسناتكم سيئات السفلة منكم.

ألهمكم الله الرشد وجنبكم موارد الردى والسلام في 7 جمادى الأولى عام 1330 هجرية».

نص الخطبة ليوم الجمعة26أفريل1912م، بأمر من السلطان عبدالحفيظ[1]

([1]) فرديك وايسجرير، المصدر السابق، ص257

.

الملحق رقم04:

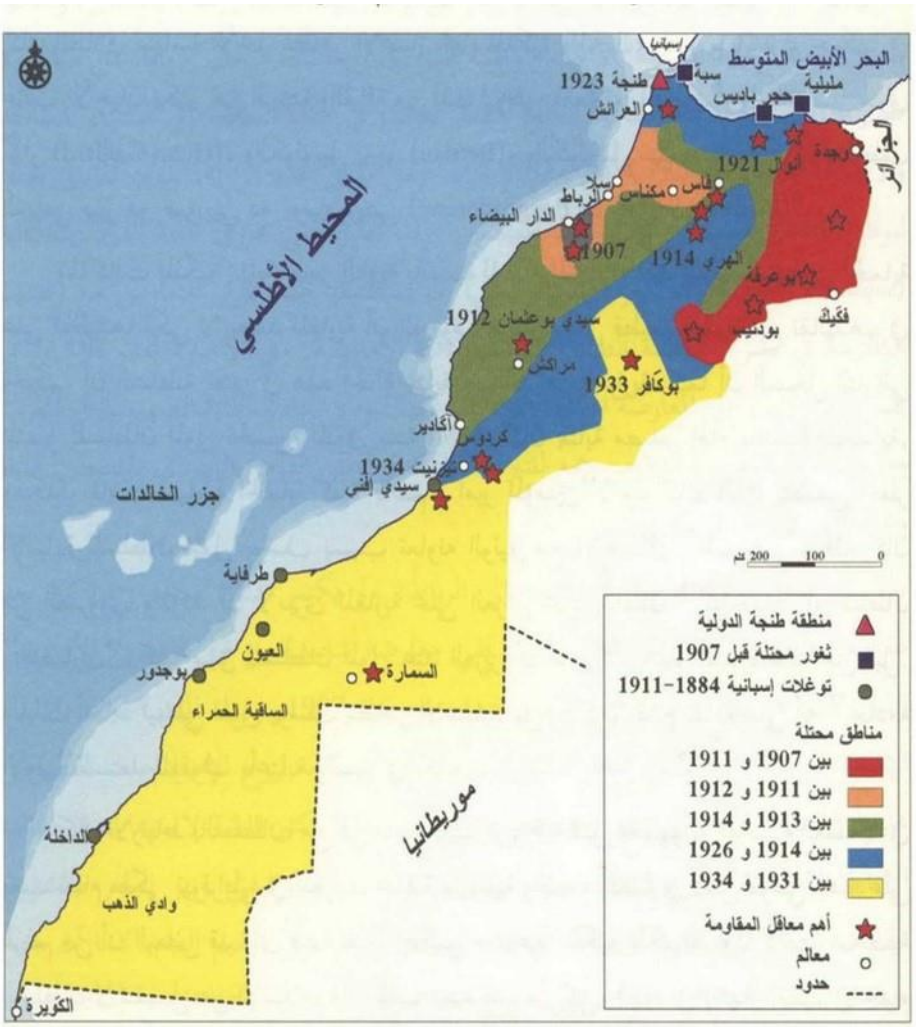

خريطة تمثل مراحل الاحتلال الاستعماري و أهم معاقل المقاومة المغربية(1907–1934)م (بتصرف) [1].

(1) محمد القبلي، مرجع سابق، ص539.

الملحق رقم05:

خريطة تمثل معركة أدهار أوبران 01جوان1921م– [1] .(بتصرف)

([1]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص40.

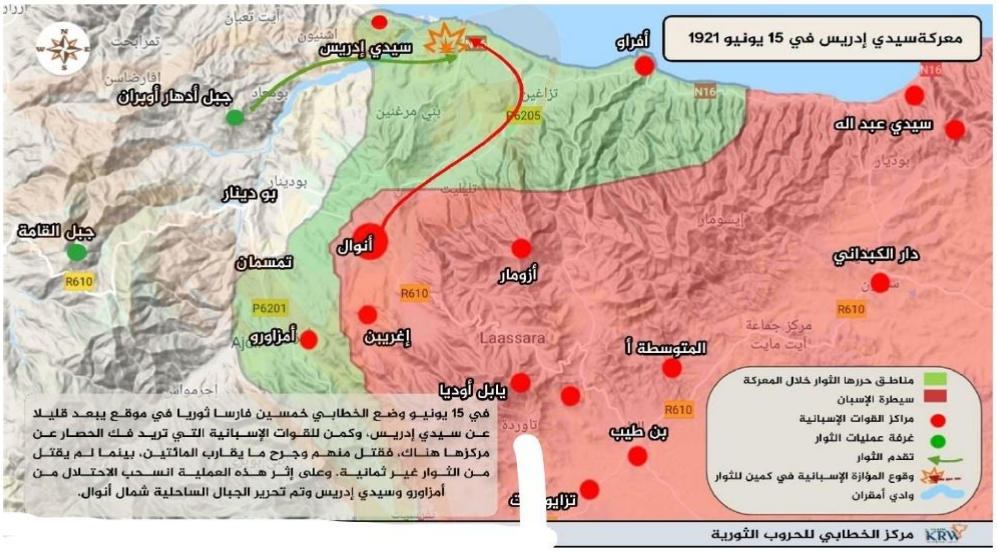

خريطة تمثل معركة سيدي إدريس15جوان1921م– [2] .(بتصرف)

([2]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص42.

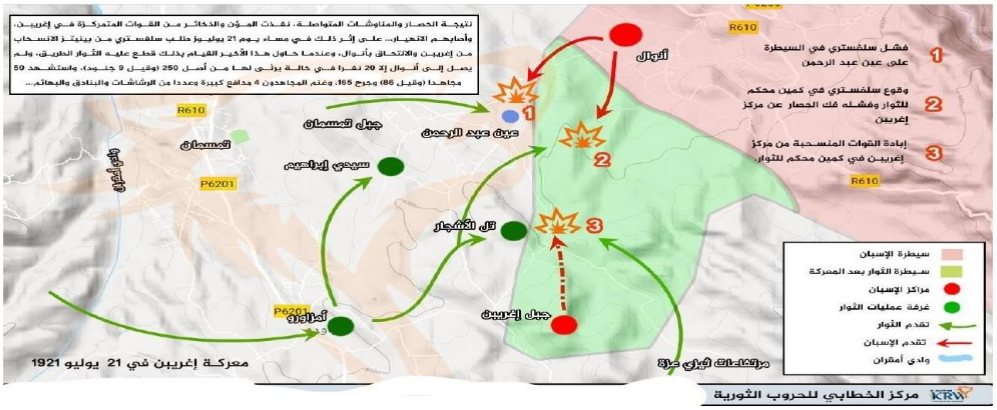

خريطة تمثل معركة إغريبن في 21جويلية1921م– [3] .(بتصرف)

([3]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص45.

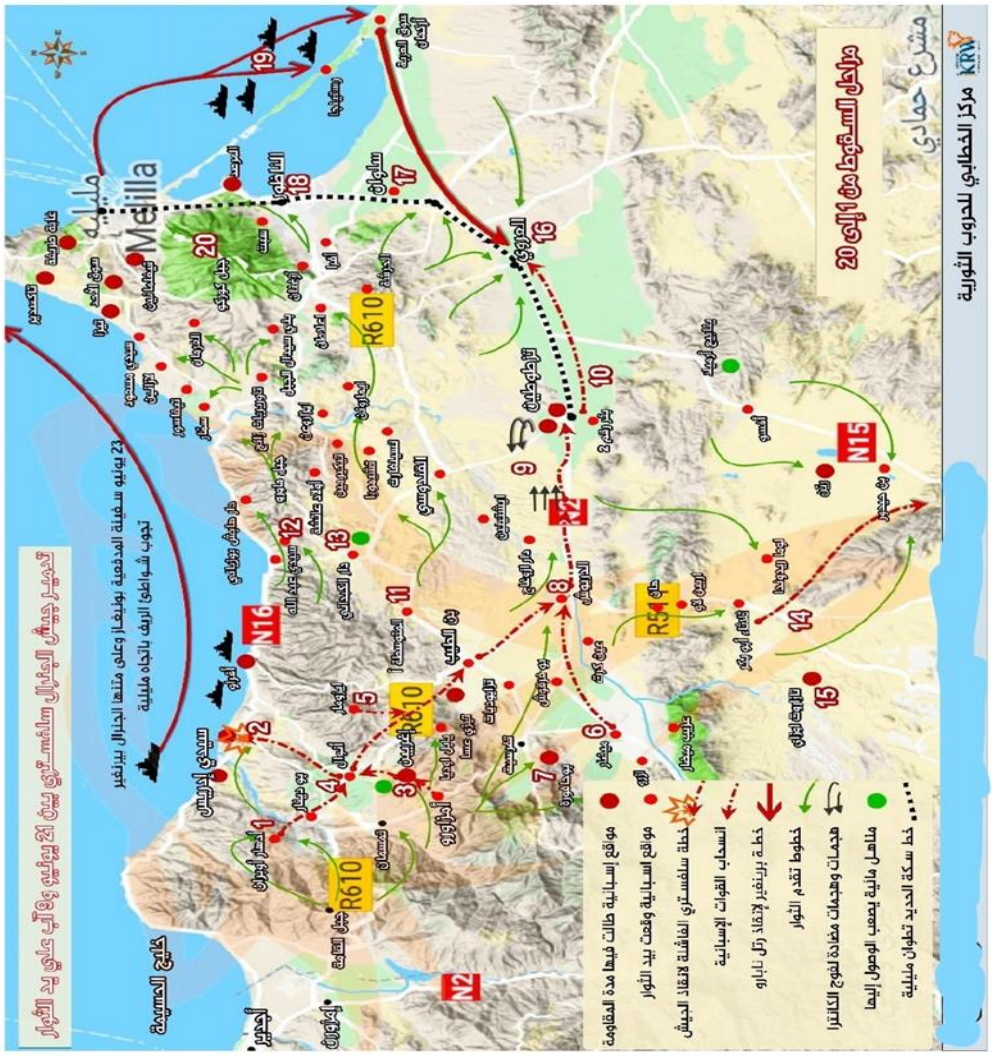

خريطة تمثل معركة أنوال في أوت1921م- [4] .(بتصرف)

([4]) المركز الخطابي الحروب الثورية، مرجع سابق، ص45.

قائمة المصادر

والمراجع

1- المصادر:

1- ابن العتيق ماء العينين، **الرحلة المعينية 1938**، تحقيق، محمد الظريف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م.

2- الفاسي علال ، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، طبعة جديدة، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة السادسة مصححة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2003م.

3- ـــــــــ ، **الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية**، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة،1948.

4- السوسي محمد المختار ، **المعسول**، عشرون جزءا، الجزء الرابع ،مطبعة فضالة، المغرب، 1960م.

5- الوزاني محمد حسن ، **مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية-2- حرب الريف**، مؤسسة محمد حسن الوزاني، د.ت.

6- ملحس رشدي الصالح ، **سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، بطل الريف ورئيس جمهوريتها**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343هـ(1924م).

2- المراجع:

7- أفا عمر ، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر- البنيات والتحولات1830-1912م**، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط،2006م.

8- ـــــــــ، **مقاومة الشيخ أحمد الهيبة 1912-1919م ، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة و جيش التحرير بالمغرب**، الجزء الأول ، المجلد الأول، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، 2005م.

9- ألبير عياش ، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، ترجمة، عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط،1985م.

10- البوعياشي أحمد عبد السلام ، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، ج1، مطبعة دار أمل، طنجة، 1974م.

11- الجمل شوقي عطا الله ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)**، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1977م.

12- الجمل شوقي عطا الله وعبدالرزاق إبراهيم عبدالله ، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، (طبعة جديدة منقحة ومزيدة)، الطبعة الثانية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض،2002.

13- المحجوبي علي ، **العالم العربي الحديث والمعاصر "تخلف فاستعمار فمقاومة"** ، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009.

14- الخديمي علال ، **الحركة الحفيظية أو المغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية 1894-1912**، الطبعة الأولى ،دار أبي قراق، الرباط، 2009م.

15- ـــــــــــ ، **التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب1894-1910م**، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، الطبعة الثانية، الرباط،1994.

16- الريحاني أمين ، **المغرب الأقصى رحلة في منطقة الحماية الإسبانية**، دار المعارف، مصر، 1952م.

17- المرنيسي عبد الحميد ، **الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1978.

18- المساري محمد العربي، **محمد بن عبدالكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت،2012م .

19- الشريف محمد بن موسى، **عظماء منسيون في التاريخ الحديث**، دار الأندلس الخضراء،2010.

20- الصقلي العربي ، **مذكرات التراث المغربي**، ترجمة: عبد الكريم حليم، ج5، هنري موراث للنشر .

21- الصياد محمد محمود ، **معالم جغرافية الوطن العربي**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.

22- الصديق بن العربي، **كتاب المغرب**، الطبعة الثالثة، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط، 1984.

23- القبلي محمد ، **تاريخ المغرب تحسين وتركيب**، الطبعة الأولى، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م.

24- القشاط محمد سعيد، **اعلام من الصحراء**، الطبعة الأولى، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع،1997م.

25- المنصوري أحمد بن قاسم، **كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر**، تحقيق: محمد بن لحسن، وتقديم: مصطفى الكتيري، الطبعة الأولى، المنشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير،الرباط،2004.

26- المركز الخطابي الحروب الثورية، علي الإدريسي، **الخطابي ملهم الثورات المسلحة السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية لثورة الريف الثالثة(1921-1926)**، المركز الخطابي الحروب الثورية ، الطبعة الأولى،2019م.

27- بن جلون عبد المجيد، **هذه مراكش**، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، القاهرة، 194م.

28- بلقاسم محمد، **وحدة المغرب العربي فكر وواقعا: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، البصائر الجديدة، 2013.

29- بن لحسن محمد، **معركة لهري(13نوفمبر1914)م صفحات من الجهاد الوطني**، الطبعة الأولى، مطبعة آنفو، فاس،2001.

30- بيرجي فرانسوا ، **موحى وحمو الزياني1877-1921م**، ترجمة وتعليق، محمد بوسنة، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو-برانت، فاس،1999.

31- حركات إبراهيم ، **المغرب عبر التاريخ**، ج4 ،دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء،1994م.

32- ـــــــــــ ، **المغرب عبر التاريخ**، ج3 ،دار الرشاد الحديثة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء،1994م.

33- داهش محمد علي ، **صفحات من الجهاد و الكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927**، الطبعة الأولى ،الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010 م.

34- ـــــــــــ ، **دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، مركز الكتاب الاكاديمي، د، ت.

35- راشد أحمد إسماعيل، **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر "ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا"**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت،2004.

36- سبيلمان جورج، **المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956**، ترجمة، محمد المؤيد، منشورات أمل التاريخ، الثقافة، المجتمع، ط1، 2014.

37- ـــــــــــ، **آيت عطا الصحراء وتهدئة آفْلاَّ- نْ- دْرَا**، ترجمة وتعليق، محمد بوكبوط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007م.

38- سيمو بهيجة ، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912م**، المطبعة الملكية، الرباط، 2000.

39- غلاب عبد الكريم ، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**،ج3 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م.

40- مقلاتي عبد االله، **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر(الجزائر- تونس- المغرب- ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

41- كنون عبدالله، **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، المجلد الخامس، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني والتوزيع، القاهرة- لبنان، 1994.

42- معريش محمد العربي ، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول1873-1894م/1290-1311هـ**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1989م.

43- كريدية إبراهيم ، **الحماية أصلها وتطوراتها**، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، د.ت.

44- ياغي إسماعيل أحمد ، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، ج2، قارة افريقية، دار المريخ للنشر، الرياض،1993.

3- المجلات و الدوريات:

45- الحادك قاسم ،"**حركات المقاومة الدرقاوية في منطقة تافيلالت بالمغرب: زعماء بين إعلان الجهاد واللجوء إلى العنف وسفك الدماء**"، مجلة عصور الجديدة، نصف سنوية، العدد10،جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر، جويلية2013م.

46- ـــــــــــ ، "**المقاومة النسائية في المغرب من خلال الأشعار الشفوية**"، مجلة قضايا تاريخية، العدد8، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، الجزائر، ديسمبر2017.

47- التباعي جواد ، "**موحى وحمو الزياني نموذج للقواد الصغار بمغرب نهاية القرن19م وبداية القرن20م**"، مجلة الذاكرة، المجدد08، العدد:01، جانفي2020م، الرباط.

48- القطعاني فادية عبدالعزيز ، "**الحركة الوطنية المغربية1912-1937م**"، المجلة الجامعة،العدد16، المجلد01، فيفري2014م .

49- بوطافي عبدالسلام ، " **تشريح الثورة الوطنية: ثورة الحجامي، ثورة أحمد الهيبة**"، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة، العدد50، ديسمبر2020.

50- ـــــــــــ، " **الماريشال ليوطي والاستراتيجية العسكرية الفرنسية بالمغرب1912-1925م- ملف العدد**"، **مجلة ليكسوس**، العدد38، شهر، مجلة إلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية،الرباط،2021.

51- زكي منير ،" **جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للقبائل المغربية آيت عطا نموذجاً**"، دورية كان التاريخية، السنة السابعة، العدد23، مارس2014.

52- ماء العينين النعمة علي، أحمد بومزكو، "**الشيخ مربيه ربه العالم المجاهد**"، مجلة أمل: التاريخ – الثقافة – المجتمع، مجلة فصلية، العدد25-26، السنة التاسعة، سابريس للتوزيع والنشر، الدار البيضاء، 2002م.

4- الملتقيات والأيام الدراسية:

53- الباز الحسن ، **مقاومة الشيخ أحمد الهيبة للاستعمار الفرنسي**، في اعمال الندوة العلمية الوطنية، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م- الجذور والتجليات-**، المنعقدة أيام13-14-15نوفمبر1991م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م .

54- بن جلون محمد ،" **معالم الكفاح الوطني والمقاومة في سبيل الاستقلال والوحدة**"، في اعمال الندوة العلمية الوطنية، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م- الجذور والتجليات-**، المنعقدة أيام13-14-15نوفمبر1991م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م

55- ماء العينين النعمة علي، و بومزكو أحمد، مداخلة: **جهاد الشيخ مربيه ربه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**، يوم دراسي12جويلية1998م، تحت عنوان: "**سوس والصحراء المغربية تواصل ثقافي وحضاري**"، الطبعة الأولى، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، المجلس البلدي تيزنيت، الرباط،1999م.

56- مجموعة من الباحثين، **المقاومة المغربية ضد الاستعمار1904-1955م- الجذور والتجليات-** ، الندوة العلمية المنعقد أعمالها أيام13-14-15نوفمبر1991م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، جامعة ابن زهر المملكة المغربية، دار الحلال العربية، الرباط، 1997م.

5- الرسائل الجامعية:

57- حواس محمد، **الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية مقاربة في المضامين1930-1951م**، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، تلمساني بن يوسف، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله،الجزائر،2016-2017.

58- منصوري الحواس، **حرب الريف وأصداؤها في الجزائر(1921-1926)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،2011-2012م.

6- المواقع الالكترونية:

59- https://www.maghrebvoices.com عسو- أوبسلام.. أمازيغي هزم فرنسا في 'بوكافر' ، مسعود هدنة، تاريخ الإضافة يوم06مارس2018، تاريخ الإطلاع:06-02-2022م، على الساعة:10سا و 11د.

60- http://www.sahara-online.net › ... › Presidential Actions، مرحبا بكم في بوابة الصحراء ، تاريخ الإطلاع:29-11-2021م، على الساعة 21سا:00د، المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية 2021 © جميع الحقوق محفوظة.

فهرس الموضوعات

قائمة المحتويات

	الصفحات
1- صفحة الغلاف	
2- صفحة اللجنة المناقشة	
3- الاهداء.	
4- الشكر والعرفان.	
- مقدمة	**أ- هـ**
- المدخل: المغرب الأقصى من الاطماع الأوربية إلى الحماية المزدوجة	**17-7**
1. - خلفية تاريخية للأطماع الاوربية على المغرب الأقصى. 2. - المغرب الأقصى بين المعاهدات الثنائية الأوربية. **3.** - معاهدة الحماية المزدوجة (فرنسا واسبانيا)على المغرب الأقصى.	
- الفصل الأول: المقاومة الشعبية المغربية في الجنوب المغربي1912-1934م.	**37-19**
تمهيد: 1-جذور المقاومة الشعبية المغربية. 2- أحداث أو ثورة فاس1912م. 3- ثورة مولاي أحمد الحجامي. 4- ثورة أحمد الهيبة(1912-1919)م. أ- أحمد الهيبة مولده وسيرته. ب- دعوته وجهاده. . 5- ثورة الشيخ مربيه ربه(1919-1934)م. أ-الشيخ مربيه ربه حياته ومسيرته. ب- دعوته وجهاده.	
الفصل الثاني: المقاومة الشعبية المغربية في الاطلس المتوسط والكبير1914-1933م	**55-39**
تمهيد: 1- مقاومة قبائل زيان في الاطلس المتوسط: 1-1- مقاومة موحا وحمو الزياني(1914-1921)م: 1- مولده ونشأته.	

2- جهاده. 2-أ- معركة الهري13نوفمبر1914م. 2- مقاومة قبائل آيت عطا (1918-1933)م: 2-1- مقاومة التوزونيني(1918-1918م: 1- التوزونيني مولده وسيرته. 2- دعوته وجهاده. 2-أ- معركة البطحاء(كاوز). 2-2- مقاومة عسو أو بسلام (1929-1933)م. 1- عسو أو بسلام مولده ودعوته للجهاد 2- معركة بوغافر13فيفري-24مارس1933م.	
الفصل الثالث: المقاومة الشعبية المغربية في منطقة الريف1921-1926	**68-57**
تمهيد: 1- الحكم الإسباني في حكم المغرب. 2- تاريخ مقاومة الريف 3- مقاومة الريف محمد بن عبدالكريم الخطابي أ- مولده ونشأته. ب - الزعامة والجهاد - معركة أدهار أبران: - معركة إغريبن. - معركة أنوال: ج - تأسيس الجمهورية الريفية(1921-1925). 4- التدخل الفرنسي في حرب الريف.	
خاتمة	**72-70**
الملاحق	**85-74**
قائمة المصادر والمراجع	**90-86**
فهرس الموضوعات	**93-92**